درقيش

نص سردي لسيرة ذاتية

د. حمدي الجمال

دكتور التاريخ الإسلامي

كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المشرف الأدبي

السيد حسن

المدير التنفيذي

هناء أمين

الكتاب: الدرفيش

اسم المؤلف: حمدي الجمال

التصنيف: رواية

المقاس: ١٤x٢٠

رقم الإيداع: ١٦٣٧٨ /٢٠٢٢م

الترقيم الدولي: 978 - 977-993 - 464 - 8

العنوان: ٢٩٨ شارع فيصل - محطة ضياء

موقعنا على الفيس بوك: سلسلة كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

فاخرج من أشواك النفس

وابتنِ في خراب ذلك الجسد عُمْرَانًا

يَصعد بِرُوحِك لِمُلاقاة النور

د. حمدي الجمال

"أشعر أنني كجلال الدين، ولكنني أحتاج إلى ألف

شمس تبريز، لتنير مني الروح"

د. حمدي الجمال

منشور العشق

- فَتَّشت في لوح صَدرِيَ المحفوظ، وبعد جهدٍ.
- وجدت منشورًا لِعِشق حِبِّيَ القديم.
- فيا حِبِّي، إن قَدَّرْتَ يومًا فضح هذا المنشور .
- فلا تَبُح بأسرار دُلِّي لك.
- فقد تذللت شوقًا من عالم الأزل.
- ولا تَكتُب عليّ أن أحترق بنور الجلال يومًا.
- فماذا يفعل نُور جلالك في رمادٍ قد فَنى.
- وإن كنت قد رفعت كلبًا فذكرته في كلامك.
- فقلت: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) [الكهف: ١٨] .
- ونسبته إلى أهل الحق.
- ألا تنسبني إليك اليوم فأسعد.
- وإن كنت مننت على بَغِيّ لكلب سقتهُ(١).
- ألا تدخلني في معية حُبك، رغم أني لست باغيًا.
- وإن كنت كتبتني في أم الكتاب من المشتاقين.
- فمُن علي بنظرةِ ذَوبٍ، ولا تقطع نظري إليك

---

١) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به"؛ صحيح البخاري (٤/ ١٧٣).

بمنشار السين[1].

- فإنني عندما أتأمل اسمك في قلبي **"الله، لله، له، هُـ"**.
- لا أجد حرفًا، ولا حبرًا، ولا ورقًا، ولا أنا.
- وإنما أجدك أنت(٢)، فَمُن وتعطف.
- أو كما أقول: أنت أنت وكل شيء بعدك عدم.
- وكما قيل: من كان في قلبه مَحِلٌّ لغير المحبوب،
- فهو بذلك الغير محجوب(٣).

---

١) السين عند أهل النظر مثل الأسنان، أو بالأحرى مثل أسنان المنشار، الذي يجرح شفتي عاشق الحق، ولجلال الدين الرومي رأي آخر، عندما مدح شمس التبريزي، فقال: "أما شمس التبريزي الذي هو فخر الأولياء، فسارت سين أسنانه لي مثل ياسين"، والشرح: أنه لما كان شيخه شمس هو طريق معرفته بالله، صارت ابتسامته مثل ياسين السورة، التي هي من وسائل القرب إلى الحق.

٢) هذه الكلمة بمعنى مجازي، أي في قلبي بقدرته، وبمحبته، وبمعرفته، وبقوته، وبنوره، ولا يوجد لها تمثيل حقيقي، حدثنا جعفر الفريابي: حدثنا إسحاق بن راهويه: حدثنا بقية بن الوليد، عن محمد بن زياد، عن أبي عنبةَ الخَولانيِّ يَرفعُهُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «إنَّ لله آنيةً مِن أهلِ الأرضِ، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِهِ الصالحينَ، وأحبُّها إليهِ أَلينُها وأَرقُّها»؛ مسند الشاميين للطبراني (٨٤٠)، قال الهيثمي: إسناده حسن، وقال الألباني في الصحيحة (١٦٩١): إسناده قوي. ورغم هذا الإسناد قال ابن السبكي: (٦/ ٣٣١) لم أجد له إسناداً. وقال السخاوي: لم أجد له إسناد معروف.

٣) هذا البيت من أقوال السيد سلامة الراضي، كتاب النفحة المحمدية.

- وكما قال أبو اليزيد(١):
- العشق إذا دخل؛ لا يترك في القلب ما دون الحق(٢).
- فيا هذا إن أردت أن تقرأ قصتي.
- فاعتصر هذا الورق.
- ينساب دمي.
- مُخبرًا لك عن قصدي "فافهم".

د. حمدي الجمال

---

١) طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي أبو يزيد الزاهد المشهور كان مجوسيا ثم أسلم، بأي شيء نلت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار، توفي سنة إحدى وستين ومائتين؛ الوافي بالوفيات (١٦/ ٢٩٥).
٢) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ص٢٠٩.

بقايا درفيش

مالك الحزين(١):

يحكى أن مالكًا الحزين انتخبته الطيور دليلا وقائدًا لها في تلك الدنيا، وبعد تنصيبه رئيسًا، بدأ يتحدث عن طموحات فترة حكمه، فقال: سأحكي لكم قصة حدثت معي، نجيب بها على سؤال مهم، وهو: لم خلق الله الكون، بإنسانه، وحيوانه، وطيره، ونباته، فإذا عَرِفَ كل مخلوق إجابة هذا السؤال، عاش سعيدًا في دُنياه وأُخراه.

بداية:

يحكى أن شابًا من البلاد البعيدة، كان أبوه شيخًا حافظًا للقرآن، عاملا به.

كانت ولادة ذلك الشاب حدثًا مهمًا بين أتباع ذلك الشيخ، ذلك أن الشيخ كان لا ينجب، فكان الأتباع

---

(١) اسْم طَائِر من طير المَاء سمي بذلك لأَنَّهُ يقْعد بِقرب الْمِيَاه والمنابع فَإِذا نشفت حزن على جفافها وَبَقِي حَزِينًا وَيعرف فِي مصر بالبلشون؛ المعجم الوسيط.

يدعون له أن يرزقه الله الولد، حتى يكمل مسيرته من بعده.

تربى ذلك الولد وكل من حوله يحيطه بالوُد والرعاية، بل وصل الأمر إلى التدليل المفرط، وفي سن السابعة كلف الأب حافظًا للقرآن أن يعلمه، ولكنه كان متمردًا على ذلك، فلم يحفظ إلا سورتي الفاتحة والإخلاص.

تتابعت السنون وذلك الشاب يزداد بعدًا عن ربه، لأن قلبه امتلأ كِبرًا من انصياع الناس له، ذلك أن أتباع أبيه كانوا ينظرون إليه على أنه قريب من الله مثل أبيه، وكان هو لا يحب ذلك.

زيفٌ متمكن:

تمرد الشاب على تلك الحياة التي لم يخترها، واندفع بكُله في طريق النفس والشهوة والغواية، حتى أصبح يُضرب به المثال في فساد الأخلاق والطوية، لم يترك فاحشة إلا وفعلها، ولم يترك ظلمًا إلا وارتكبه ..

كان مقيمًا في سجن، العناصر الأربعة[1]، والحواس الخمس، والجهات الست[2].

تتابعت السنون، مات أبوه وهو على حاله مقيم، حتى بلغ من العمر أربعين، لم يتزوج ولم ينجب، ولكنه كان يشعر بالخواء النفسي المُتولد عن المعصية، تذكر والده وتذكر احتفاله به يوم أن حفظ سورة **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**، وصارت كلمة والده تدوي في أذنيه يوم أن حفظ تلك السورة، فقد قال: **"سيعيدك سطرٌ في القرآن إلى الله يومًا"**.

---

(١) التي منها يركب الجسد وهي، التراب والماء والهواء والنار؛ ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل.

(٢) أعلن الشيطان طريقة عمله، فحدد في الآية الأماكن التي يأتي منها الإغواء، فقال: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧]، نلاحظ هنا أن الجهات بالنسبة للإنسان ست. اليمين والشِمال، والأمام والخلف، وأعلى وأسفل، ولكن إبليس لم يذكر إلا أربع فقط. أما الجهتان الأخيرتان وهما الأعلى والأسفل. فلا يستطيع إبليس أن يقترب منهما. أما الأسفل فهو مكان السجود والخضوع لله. وأما الأعلى فهو مكان صعود الصلاة والدعاء. وهاتان الجهتان لا يستطيع إبليس أن يقترب منهما؛ تفسير الشيخ الشعراوي.

نداءٌ من بعيد:

جلس يومًا في السوق، جاء أحدهم وبدأ بقراءة القرآن، لم يقرأ إلا آيتين، كررهما كثيرًا، كانت الأولى:

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) [الحديد: ١٦]، والثانية: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [الأحقاف: ١٥]**.

انطلق بفكره في معنى الآي، واضعًا رأسه على رُكبة التأمل، اندفع لسانه متسائلا: **آآن يا رب، آآن يا رب، آآن يا رب؟** لقد بلغت من العمر الأربعين، فهل أعمل صالحًا ترضاه؟

سرح بفكره في حياته السابقة، شعر أن عمره السابق قد انقضى بلا ثمر، وأنه قد تعثرت أقدامه في أحجار الامتحان.

بهلول المجذوب:

سار يومًا خارج قريته، وجد مجذوبًا، نظر إليه المجذوب، وصاح: **"يا من يَتْحِدُون بالشهوة، انفضوا جلودكم متحدين بالتقوى، يقول الرب: أنا الراعي وأنتم خرافي الطيبة، فلا تبتعدوا عن رسائلي إليكم؛ فيختطفكم الذئب، واجعل سكين تكبيرة الإحرام؛ ذَبْحًا لعيب النفس فيك حتى تعتاد المشؤمة[1] الذبح، فتخرج من سجن العادة إلى جنة الروح، واعلم أن العقل شيخ الجسم، هو الذي يُدبر، يأمُر، ينـهَي. فلا تملأ بالظلمة جوف قلبك، فيمنع الضوء من العيش فيه"**.

ثم أشار المجذوب إليه، وقال: لا تجعل من وطنك جُحرًا كالفأر، بل اجعل من وطنك روحًا، تطير حيث تشاء.

صاح المجذوب صيحة أكثر ألمًا، قائلا: يا أيها المخلوق الذي خلق من الوحل، لا تنزل بنسبك إلى

---

(١) النفس.

مرتبة الوحل، ثم أتبعها صارخًا: **يا رب هل قُدرَ لعابد الوثن[1] يومًا أن يُحول وجهه لكعبة الصواب.**

أثرت كلمات المجذوب في لُبِّه، ظل يكرر: عابد الوثن وكعبة الصواب، ثم انخرط في بكاءٍ دامٍ، ودعا: اللهم اجعلني بكلي تجاه كعبة صوابك.

حقٌ يُرَى:

في تلك الليلة، رأى في الرؤيا يوم القيامة، وأنه يقف كالفرخ المبلل، لا يدري أين يذهب، وأن بينه وبين النار قيد شبر[2]، ثم رأى والده، **قال الوالد:** بُنَي، في تلك السورة التي تحفظها طريق خروجك، فواجه نفسك، شرك، دناءتك، إبليسك، وهاجِر من درب إبليس، فقد أصبح من فرط شرِّك لا يوسوس، بل يأتيك جهارًا يعرض رأيه، وثِق أن إبليس إذا لطخ إنسانًا باللون الأحمر، فسيتلطخ جسده لا روحه، فالروح في ذلك العلو لا تُمس.

---

(١) بمعنى النفس، أو الصنم، أو بيت الصنم.

(٢) الشبر: وَهُوَ مَا بَين طرف الإِبْهَام إِلَى طرف الْخِنْصر؛ جمهرة اللغة (١/ ٣١١).

صحا سعيدًا أن رأى والده، حزينًا أن واجهه والده بحال فسقه، قام إلى الاغتسال، ثم ارتفع صوت حواره الداخلي: هل الغُسل يُطهر الروح أيضًا؟ ينقي ذلك الشعور بالذنب، بالغفلة، بالبعد؟ ثم قال: لا أظن!!! تتابعت أفكاره الداخلية، قال لنفسه: أشعر أن هناك مائة صنم يختفي داخلي .. يتنهد تنهيدة عميقة، ويقول: بقلبي شوقٌ ظمآنٌ للحق، للخير، للحب، شوقٌ يخرجني من ذاك الظل الذائل للدنيا. تقول نفسه: لا شك أن من الانكسار يتولد الضياء، فيزيل تراب تلك الهموم. يتساءل عن معنى الرؤيا، ثم يقول: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**، كررها كثيرًا ارتاحت نفسه، شعر أن بَراحًا كبيرًا وُلد داخله، وأن كلب طبعه ينزوي بعيدًا، في زاوية النسيان.

في ليلته التالية، رأى رجلا لم يتبين ملامحه، ولكنه كان مبتسمًا ضاحكًا، شعر أنه يعرف الرجل، قال الرجل: "أأنت من نَفَخ فيك الإله يوم **(ألَسْتُ[1])**، أأنت قلت: بلى، لا شك أنه طيفُك، **بُنَي:** إذا أردت النجاة، فاذبح نفسك على مذبح الرب، وحلق بجناحي القلب، حتى يخرج قلبك من جب[2] الجسد، ليرى ضياء نور

(١) ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٢) البئر التي لم تطو، أي لم تُبن بالحجارة؛ مختار الصحاح (ص: ٥٢).

الجلال، واعلم أن ذلك الضوء الذي يتسرب إلى نفسك، إنه رسول الصبح الصادق، الذي ينزع العاصي من معصيته من بداية النهار، أنر مصباح جسدك الذي هو قلبك، فهو الذي ينير من جسدك الظلمة".

تذكر أنه ورث مكتبة والده، باع جميعها، ولكنه ترك كتابًا واحدًا، لا يعلم لم تركه، ولكنه ذاك الغلاف الذي عليه رجلٌ ذو عِمامةٍ طويلة يرقص منتشيًا، لمح داخل الكتاب كلمة المولوية[١]، وسرعان ما تناسى ذلك الكتاب لسنوات، قام بحثًا عن الكتاب، فتحه فكان جلال الدين[٢] يقول:

- فالنفس تمسك بالمُصحف والسبحة في يَمينها، ولكنها تخفي السيف والخنجر في كُمها.

---

(١) المولوية: فرقة من فرق الصُّوفِيَّة نسبوا إِلَى الْمولى جلال الدّين الرُّومي دَفِين قونية الرُّوم، ويلبسون قلنسوة من صوف مستطيلة؛ المعجم الوسيط (٢/ ١٠٥٨)؛ تاج العروس (٤٠/ ٢٥٤).

(٢) جَلَال الدِّين الرُّومي (ت: ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م): محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي، القونوي، الرُّومي، كان عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف (ترك الدنيا والتصنيف). وهو صاحب الطريقة (المولوية). ولد في بلخ (بفارس) وانتقل مع أبيه إلى بغداد، في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية، ثم استقر في قونية، ألف (المثنوي) المشهور بالفارسية، وهو منظومة صوفية فلسفية في ستة أجزاء، واستمر يتكاثر مريدوه وتابعو طريقته إلى أن توفي بقونية.

- فلا تصدق مصحفها ورياءَها، ولا تجعل نفسك نجيًا وقرينًا لها.

- إنها تصحبك إلى الحوض بحجة الوضوء، ولكنها تلقي بك إلى قاعِه[1].

سبح فكره في تلك النفس التي تمسك بالمصحف والسبحة، ولكنها تُلقي به إلى قاع الحوض، تنهد بعمق، ثم قال: يجب أن أُغير اتجاه الريح لتوافق سفينتي.

صِدقٌ يَرْكَع:

قام ليلا، ذهب إلى المسجد، دفع الباب، صلى في المحراب، قرأ الفاتحة وقل هو الله أحد، شعر أنه ضئيلٌ بين يدي الإله، بدأ يدعو واقفًا:

إلهي: هذا عبدٌ قضى عُمره رافعًا أبا مُرة [2] فوق أكتافه.

إلهي: أتقبله؟

إلهي: إذا كانت الجلود لا تَطهر إلا بالدباغة، وأنت جعلت جهنم لدبغ جلود العصاة حتى تطهر، فلا تجعلني ممن يَطهُر بالدباغة، بالنار، بالسعير.

---

(١) جلال الدين الرومي: مثنوي، ٣/٢٢٥.

(٢) من أسماء إبليس.

إلهي: قضيت عُمري متشبثًا في الدنيا بمخالبي، فلا تجعل قِبْلَة نفسي يومًا صَرعى، لا تجعل قِبْلَة نفسي يومًا مَيْتَة.

إلهي: أشعر أنني كالفَرَاش يتجه إلى شمعة، وكأن الاحتراق قدرٌ مُحتم.

إلهي: حرمت الخفاش من نعمة الضياء، فلا تجعلني كمثلِه أعشق الظلام، ذلك أني خِطتُ[1] بصيرة العقل والقلب.

إلهي: إنني من تلك الأرواح التي علاها الطين، ألا تُحطم طيني وتشتريني[2].

إلهي: أما آن لمدينة نفسي الخربة عمارٌ، فاحرق بتجلي لاهوتك ناسوتي[3].

إلهي: لقد ترك عشقك في القلب نَدْبًا، يصعب على الموت محوه.

---

(١) خِطْتُ الثَّوْبَ أَخِيطُهُ، خَيْطاً، فَهُوَ مَخِيطٌ؛ تهذيب اللغة (٧/ ٢٠٨).

(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١].

(٣) اللاهوت: الألوهية، أو الخالق؛ والناسوت: الْمَخْلُوق، أو الطبيعة الإنسانية، وَرُبمَا يُطلق الأول على الرّوح وَالثَّانِي على الْبدن، وَرُبمَا يُطلق الأول أَيْضا على الْعَالم الْعلوِي، وَالثَّانِي على الْعَالم السفلي، وعَلى السَّبَب والمسبب؛ ويقصد المؤلف حمدي الجمال المعنى التالي: أي احرق بتجلي أنوار ألوهيتك، أخلاق السوء في طبيعتي الإنسانية؛ أبو البقاء الحنفي: الكليات (ص: ٧٩٨).

إلهي: أتُرى تحتاج إلى لغةٍ خاصة، لغة يتفاعل فيها حرف الذال حتى يُعلِنُ دُلّي؟!

إلهي: لا يوجد إنسان وُلِدَ وقد نما السوء في قلبه، بل هو الذي يحشو قلبه بالسوء على مر الزمن، ألا تنزع ذلك السوء حتى وإن أدى لنزع القلب مني!!

إلهي: أخيرًا أتساءَل؛ هل يُعقل أن تقبل هذي الكلمات من ذاك اللسان الترابي؟

إلهي: إن كنت قبلتني، فدلني على من يدلني عليك، فقد قلت: **(الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) [الفرقان: ٥٩]**، فدلني على ذلك الخبير، آمين.

أنهى صلاته، ارتاحت نفسه، شعر أنه يمكن أن تكون هناك بدايةٌ جديدة لحياةٍ جديدة، أمسك مسبحة أبيه، ظل يقرأ: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**، حتى غفت عيناه.

مؤشرٌ مُتأرجح:

مرت أيامٌ كثيرة حتى أصبح لا يشعر بالعدد، ولكنه حرص على شيئين:

الأول: قراءة **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**، بأعدادٍ كثيرة، حتى أنه كان لا يشعر أن اليوم قد مر، **والثاني:** كان يسجد

في صلاته، ويقول: اللهم دُلني على من يدلني عليك، اللهم دُلني على الخبير..

استمر ذلك لسنواتٍ عشر، حتى بدأ يتلذذ بالطاعة، ويشعر بالقرب من الحق، وتغير اسمه بين أهل قريته، فبعد أن كانوا يلمزونه بفسقه، أصبحوا يطلقون عليه اسم: **"الدرفيش[1]"**، كان عندما يسمع هذا اللفظ، يقول بين جنبات نفسه: **"لا النَّاس أبْغِي، ولكن رَبَّ النَّاس"**.

عندما بلغ الخمسين رأى الشيخ الذي رآه قديمًا في الرؤيا ولم يتعرف إليه، كان الشيخ أكثر وضوحًا ونورًا وضياءً، شعر أن هذا الشيخ هو بهلول المجذوب الذي وجه إليه النصح قديمًا، قال المجذوب: **"أمِت ذلك الجسد ليحرر الروح، وكن من الباء والسين على قرب؛ تَكْفِك، وإن كنت لا تقدر على أن تفنى في خُلُق موسى، فاجتهد ألا تكون فرعون"**.

صحى سعيدًا أن تقدم خطوة، ولكن ماذا تعنى الباء والسين؟

ظل أيامًا لا يعرف تفسيرًا لما رأى، وفي يوم رأى والده، قال له بيتين من الشعر:

---

(١) درفيش: الكلمة تمثل النُطق الصوتي لكلمة "درويش" باللغة الفارسية، حيث تنطق الواو كحرف "v" باللغة اللإنجليزية.

قلت: صف لي على الطريق منارًا
قال: مـا فـي طـريقنا مـن منـــار
إنه مـــن وضـــوحه فـي ظـــلام
ويُـرى مـن خفـــائه كالنهـــار[١]

لم تزد هذه الرؤيا الأمر بالنسبة إليه إلا إبهامًا.. في الليالي التالية، كان يرى أباه في رؤيا تكررت كثيرًا، كان أبوه يأتيه ضاحكًا مستبشرًا، ثم يقول له جملةً بلغةٍ لا يعرفها، يقول:

عطار روي بودوسنائي دوچشيم أو
مـا أذپـي عطـــار وسنـــائي آمديم

ازدادت الحيرة، وظل يدعو الله قائلا:

إلهي: أنا من حيرتي في حيرة، أيها المعشوق الإله، أما يكفيك دمُ قلبي، وكبدي وروحي.

إلهي: لقد صرت حيًا بك، فأنت القائل: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ[٢]﴾، فأحيني بك لك، واستغرقني في عبوديتك، حتى أسقط في العشق، ولا تتركني أسقط فريسةً لتنين القهر.

---

(١) البيتان للشاعر الفارسي فريد الدين العطار، صاحب كتاب منطق الطير.

(٢) ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إلهي: أشعر أن هناك مائة صنم يختفي داخلي، فشهوتي صنمي، بُخلي صنمي، نفسي صنمي، غرامي بالدنيا صنمي، اختصارًا: إن لم تقف بجانبي فسأعبد الصنم.

إلهي: لا يوجد قُربي إلاك، لا يوجد حِبِّي إلاك، إلهي: لا يوجد إلاك، إلاك، إلاك.

وقعت في نفسه إجابة أسئلته، وجد لسانه يقول:

آن أوان سفك الدم، ولكنه سفك دم النفس حتى تعود إلى الحق.

تذكر قولا قرأه لجلال الدين، قال: **"أمر الحق موسى عليه السلام قائلا: ادعني بفم لم تُذنب به".**

أحجيةٌ تُحَل

صحا من نومه مبكرًا، شعر أن شيئًا يدفعه للخروج، قادته قدماه إلى غابة خلف القرية، ظل سائرًا على غير هُدى، وجد بهلول المجذوب جالسًا، بين يديه جمجمة، يحاول أن يصنع لها لسانًا من القماش، جلس بجواره صامتًا، تكلم بهلول بعد أن أنهى عمله، قال:

- هل يمكن لهذا اللسان القماشي أنْ يتكلم؟ لا، لا، لا.. ثم تابع كلامه، هكذا الإنسان بدون تلك الروح لا يتكلم حتى لو وضعت له ألف لسان.

تكلم الدرويش، قال: رأيتك في الرؤيا شيخي، فهل تقبلني مُريدًا للحق؟

قال بهلول: أحجيتك في ثلاث:

أحجيتك الأولى: وُجد لسنائي[١] تفسيرًا لطيفًا لشمولية القرآن، قال: إن القرآن يبدأ بحرف الباء[٢] وينتهي بحرف السين[٣]، وهذا يعني بالفارسية **"بَس"** أي **"كفى"**، ويبين ذلك أن القرآن كافٍ جدًا للإنسان، وكفاية الدنيا والآخرة[٤]، فكن من القرآن على قُرب.

أحجيتك الثانية: قال لك والدك بيتين من شعر العطار، والمعنى: أن الله رغم أنه في عالم الغيب، ولا تراه بعينك الجارحة، إلا أنه يُرى في خفائه كنهار الحُب الصادق، في كونه، وعلمه، وقدرته. إن الله يترك أمارات على الطريق إليه، وحصيف الرأي هو الذي يفهم كيف يتتبعها، فلا تكن كعابد الصنم الذي

---

(١) الشاعر العارف الحكيم، سنائي الغزنوي، من أشهر كتبه "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة"، وقد كانت أساسًا لمنظومات شعرية أصبحت أكثر شهرة منها، كمنظومات فريد الدين العطار الشاعر الفارسي الشهير، وكتاب المثنوي لجلال الدين الرومي؛ مقدمة حديقة الحقيقة للمترجم: إبراهيم الدسوقي شتا.

(٢) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

(٣) ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

(٤) آن ماري شمايل: الجميل والمقدس، ص٩١.

يسجد لمن لا يرى ولا يسمع، وإن كنت من تراب، فاجعل التراب مَرجعك، ولا تتحلى بالكبرياء لأن أصلك من السَّفل.

وإذا كان الشيطان قد رضع من قالب الكِبر، فلا تُصبح تَؤُمّه وترضع معه من القالب نفسه، وادع ربك عندما يبكي السحاب، حتى تُضِئ لك شموع الحق، واعلم أنَّ نفسك تجثم فوق جسدك وروحك، فاجعلها تطير جهة الحق، فتحمل ذلك الجسد وتلك الروح إلى النعيم، ثم ابذل روحك متوجهًا إلى الله عشقًا، فإذا لم يُقدم العاشق القلب باذلا، فعِشقه مردود وصدقه مكذوب، فابذل هذي الروح يا هذا، فالبذل حياة ولكن من نوعٍ جديد.

أحجيتك الثالثة: فهذا من شعر جلال الدين بالفارسية، يقول: **"كان العطار وجهًا، وسنائي عينيه، وجئنا على أثر العطار[1] وسنائي"**.

والمعنى أنه كما سبق العطار وسنائي جلال الدين الرومي، فأنت ستخلف سلطان العاشقين الأكبر جلال الدين وتَفُض بكارة المعاني، كما فضها جلال الدين، وتكتب كما كتب.

---

(١) الشاعر فريد الدين العطار: صاحب كتاب منطق الطير.

قال بهلول: عندما تشعر برغبة في دخول الغابة، فهذا يعني اللقاء.

عاد الدرويش ليلا يتحسس طريقه في ظلام الغابة، ولكن سعادة روحه كانت تنير له الطريق، وصل إلى بيته، صلى العشاء وأنهى وِرده، ثم ذهب في سباتٍ عميق.

بعد أيامٍ ليست بالقليلة، شعر أنه يريد الذهاب إلى الغابة، وهناك التقى الشيخ، قال: يا ولدي سألقاك هنا حتى تبلغ سبعًا.

قالت نفسه: ما السبع؟

(ولكنه لم يسأل الشيخ ماذا يعني).

عُبُودِيَةُ حقٍ

في اللقاء التالي قال الشيخ: درسُكَ الأول:

"أنت عبد، فلا تجعل لك إرادة مع سيدك، ليتساوى عزك وذُلَّك؛ لأنه مِنْهُ".

اعلم أن من أسماء طريقنا: "طريق الإرادة"، لأنك تريد الله بِكُلك لا بجزءٍ منك، وتذكر أن المريد في

عُرفنا هو من لا إرادة له، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريدا.

وتكلم أهل الله في مَعْنَى الإرادة، فكل عبر على حسب ما لاح لقلبه .. فقالوا: الإرادة ترك ما عليه العادة، وعادة الناس في الغالب التعريج في أوطان الغفلة والركون إلى اتباع الشهوة، والإخلاد إلى ما دَعَي إليه التمني، والمريد مُنسلخ عن هذا بالجملة، فترك العادة أمارة الإرادة، **فأما حقيقتها**: فهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه ولهذا يقال إنها لوعة تُهون كل روعة، وقال أحدهم: أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة[١].

والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار، فهو في الظاهر بنعت المجاهدات وفي الباطن بوصف المكابدات، فارَق الفراش، ولازَم الانكماش، وتحمل المصاعب، وركب المتاعب، وعالج الأخلاق، ومارس المشاق، وعانق الأهوال، وفارق الأشكال[٢].

واعلم أن أول مقام المريد إرادة الحق؛ إسقاط إرادته.

---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٦٨).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٥٢).

العقل مِنَّةٌ

قال الشيخ: درسك الثاني:

"العقل دابة نركبها لتوصلنا إلى السلطان، لكننا لا ندخل بها عليه".

فهكذا العقل، نتعرف به على الله، ولكننا عندما نصل إليه، لا ندخل بدابة العقل عليه. واعلم أن العاقل الأول من جنس الإنسان هو أُدُنُ الخير أحمد ﷺ، ذلك الذي أتى لذبح أخلاق الجاهلية، ونَشْرِ خُلُقِ الأسماء[1]، ذلك أنه فوق الخلق العظيم، لقوله تعالى: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** [القلم: ٤]، واعلم: إنما وُجد العقل لتعقل عن الله، ثم لعقل الغضب، البخل، الكبر، عيوب النفس، إنما وجد العقل لِرُقي الفكر، لحياة الروح، فبلا عقل لا إنسان.

---

(١) أسماء الله الحسنى هي صفاته، فوجب عليك أيها العبد أن تتخلق بما يصلح لك منها، فإذا كان من أسمائه الكريم، فكن كريمًا، وتحلى بالرحمة لأنه رحيم، وتدثر بالسلام تكن سلامًا فيما أقامك فيه، وإن كان من أسمائه المؤمن فآمن بحبيبه واعمل بكلامه وفَعِّلهُ، وإذا كان غفارًا فاجعل المغفرةَ سجيةً فيك، وهكذا.

وسليقة[1] العقل مكنونة في مغرزها من القلب: لا قوة لها، ولا حياة بها، ولا منفعة عندها، حتى تتحد بالأدب، الذي هو ثمارها، وحياتها، ولقاحها.

وليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل[2].

ومن هنا قيل: **"لا مال أفضل من العقل، وأشد الفاقة عدم العقل"**.

واذكر أن العُجب آفة العقل، فقد قال الصادق ﷺ: **"الْمُهْلِكَاتُ ثَلاثٌ: أولها إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ[3]"**. وعن عليٌ رضي الله عنه: **"الإِعْجَابُ آفَةُ الأَلْبَابِ[4]"**.

البَلِيَّةُ مَزِيَّةٌ

قال الشيخ: درسك الثالث:

"إنَّ أجود المَنَاخِل هو الذي يُخرج أجود الدقيق، وكذلك فإن أجود البَلايا هي التي تَكشِف عن تلك

---

(١) الطبيعة.

(٢) ابن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير (ص: ١٢).

(٣) مسند البزار، (٨/ ٢٩٥).

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، (١/ ٥٧١).

النفوس الذهبية".

قال الحق: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) [العنكبوت:٢]..

وهذه الآية بُنَيّ يقوم عليها مدار حياة الإنسان، لأن حياة الإنسان بُنيت على التَعَرُّض للتمحيص من قِبَل الحق، **(وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) [آل عمران:١٥٤]**، ومن هنا فهو إما يتعرض لفتنة أو ابتلاء أو اختبار، **والفتنة:** هي أشد الاختبار والامتحان وأبلَغَهُ، وتكون في الخير والشر **(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء:٣٥]**، كما قال تعالى: **(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) [التغابن:١٥]**، فجعل النِّعمَة فتنة في هذه الآيات، لأنها تدخل في باب المبالغة في الاختبار وشدة التكليف.

أما **الابتلاء:** فهُوَ اسْتِخْرَاجُ مَا عِنْد الْمُبْتَلى، وتَعَرُّف حَاله فِي الطَّاعَة وَالمَعْصِيَة بتحميله المَشَقة، والبلاء: الغَمُّ، والبَلاءُ يكونُ مِنْحَةً، ويكونُ مِحْنَةً.

أما **الاختبار:** فبمعنى الامتحان.

على أن للابتلاء مجالات ذكرها الحق في بعض آياته، فقال:

أولا: **(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الكهف:٧]**، فالتعامل مع ما في الأرض من نعيم وزينة ابتلاء لكل إنسان.

ثانيًا: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) [البقرة:١٥٥]**، و**(لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا) [آل عمران:١٨٦]**، والآيتان تُقرَّان بأن حياة الإنسان بنيت على الابتلاء، وعَدت الآيات أشياء مشتركة في البلاء بين جميع بني آدم، أولها المال والنفس، لتُنَبِّه الإنسان إلى أهميتها، فَيَتَنَبَّه لها بالصبر والتوكل على الحق، ثم تتكلم الآية الأولى عن الخوف والجوع ونقص الثمرات، بينما تتكلم الآية الثانية عن أذى الناس الواقع باللسان، بل وإن أذى الناس من قبيل الفتنة التي يتعرض لها الإنسان، ووجب عليه الصبر عليها، قال تعالى: **(وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) [الفرقان:٢٠]**.

وقد ابتُلِيَ بالناس حتى الأنبياء.

وهكذا إذا تأملت الآيات السابقة وجدت أنها تحدد جميع أنواع الابتلاء، ولا يوجد نوع يخرج عنها،

فالإنسان إما لا يملك مالا، أو أصيب بمصيبة أخذت من نفسه موضعًا، أو واقعٌ تحت تأثير الخوف أو الجوع، أو واقعٌ تحت أذى الآخرين بألسنتهم، أو فقير النفس من الخير، وهذا من البلاء، أو غير ذلك.

ومن هنا نعود إلى البداية التي تقول: **(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) [العنكبوت:٢]**[1].

ظُلُمَاتٌ ثَلاثٌ

قال الشيخ: درسك الرابع:

"كان علاج يونس عليه السلام، في ظُلُمَاتٍ ثلاث"

اعلم أنه لما كانت دُنيا اليأس قد استحكمت في نفس يونس عليه السلام، كان العلاج في الظلمات الثلاث، ظُلمة البحر، وظُلمة بطن الحوت، وظُلمة نَفْسِه، فلما طهرتهُ الظُلَمُ جاءه العفو من قِبَلِ الحق، عندما قال يونس عليه السلام: **(لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء:٨٧]**، فقد وُضِعَ يونس عليه

(١) د. حمدي الجمال: قال الهُدهُد "كتابٌ في كيفية القرب من النبي الأعظم"، ص١٤٩، ١٥٢.

السلام في ظُلُمَاتِهِ الثلاث، ليعرف قيمة ضياء الحق الذي كان يعيش فيه، وأنت أيها العبد إن ابتعدت عن الرب، وضعك في **ظلمة النفس، وظلمة الهوى، وظلمة البعد عن الحق،** الذي يؤدي إلى ضيق النفس ولو حزت الدنيا بحذافيرها، فإن الحق يُعطي ويَمُن، دونما علةٍ أو سبب يسعى إليه من خلفك، ولكنه يسعى في صالحك، فلا تقابل ذلك بالجفاء والبعد، فوجب على الروح وهي حية أن تفارق الجسد، والفراق هنا ليس موتًا، ولكنه ارتفاع عن طلب الجسد للسفل[1]، لأن الروح علوية وجب عليها أن تطير إلى أعلى، فمكّنها من ذلك.

ولتئد نفسك في الدنيا، بأن تتخلص من كل دميم وتتحلى بكل عالٍ كريم.. وقال الحق: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) [الملك: ٣٠]، والمعنى:** قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماء حياة قلوبكم من الإيمان والتوحيد، غَوْرًا، فمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ معين؟

أي: فمَن يُظهره لكم، ما يأتي به إلا أهل العلم بالله[2].

---

(١) السِّفْل: ضدّ العِلْو، والسُّفْل: ضدّ العُلْو. وَرجل سَفِلَة: خسيس من النَّاس؛ جمهرة اللغة (٢/ ٨٤٧).

(٢) ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ١٠٣/٧.

الشيخ دليلٌ:

قال الشيخ: درسك الخامس:

"وكل من مضى في الطريق بلا دليل، يكون الطريق الذي يستغرق يومين هو طريق مائة عام"[١]

قال بهلول: لا شك أنك إن نزلت بُخَارى[٢] وكان معك دليل، كان وصولك إليها أسهل وأيسر، وهكذا الشيخ يأخذ بيدك في الطريق إلى الله، فيدلك على المهالك التي قد تَعرِضُ لك، ويدلك على الأحوال التي لا تجد لها تفسيرًا، وهذا تصديقًا لقوله تعالى: **(الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) [الفرقان: ٥٩]**، أي سَل عنه رجلا عارفًا به، عالمًا بقدرته، متوحدًا بمزايا صفاته، فيكون كريمًا من باب **(فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل: ٤٠]**، رحيمًا من **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [الفاتحة: ١]**..

واعلم أن الإنسان يجب أن يولد مرتين، مرةً يوم أُمه، ومرةً يوم يعرف بقلبه وعقله ولُبِّه ربه.

يا بُنَي: كما يقول جلال الدين: "لا تجعل الطريق الذي يستغرق يومين هو طريق مائة عام"، ذلك بأن

---

(١) جلال الدين الرومي: مثنوي، ٧٢/٢.

(٢) بُخَارى: من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر وأجلَّها، وهي مدينة حوت العلم، وهي وسط آسيا حاليًا؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص٣٥٣.

تعتبر الشيخ هو الموصل للحق، فكما لا يُتَعَلَّم العلم بلا شيخ، لا تصل للحق بلا دليل، فحطم قفص جسدك، وانثر الماء على لوح ترابك، وأطلق تلك الروح منك، تَلِن أخلاقك وتصل إلى المحبوب.

يا بُنَي: "إن لم تجد الرجل العارف بالله ليكون شيخك، فاجعل من شيخك حُسن الخلق، فما دخل على رسول الله ﷺ يوم القيامة رجلٌ، مصطحبًا حُسن خلقٍ إلا كانت النار بردًا عليه وسلاما".

اللفظ إما رين أو رفعة

قال الشيخ: درسك السادس:

"إن اللفظ ليس إلا غبارًا فوق مرآة المشاهدة، وهذا الغبار يرين عليها من مكنسة حركة اللسان[1]"

تذكر أن مرآة مشاهدة الحق هي عين بصيرتك، فاجعلها دائمًا مجلوة ولا تجعل الرين[2] يتراكم عليها، من ألفاظ السوء التي يطلقها اللسان.

---

(١) جلال الدين الرومي: مثنوي.

(٢) الرَّيْنُ: الطَّبْع على القلب. رانَ يَرِينُ على قَلبه، أي: طُبع، وقوله جلّ وعزّ: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] . قال الحَسَن: الذّنب على الذّنب حتّى يَسْوَدَّ القلب. وهذا من الغلبة عليه، وقيل الرين الصدأ؛ العين (٨/ ٢٧٧).

واعلم يا بُنَي: أن اللسانُ آفةٌ، وقتيل اللسان قرين جهنم، فهُو سبعٌ فريسةُ صاحبه، قال أُدُنُ الخير ﷺ: **"وهل يَكُبُّ[1]"**، ولما منح الحق إبراهيم وآله مِنحَةً، كانت الرحمة واللسان، لأنه شرف المؤمن، قال تعالى: **(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) [مريم:٥٠]**، وفضول اللسان يخرج بك إلى التزيد والبدعة، وأعظم الخطايا لسانٌ كذوب.

ويُحكى أن إبليس كان يظهر لأحد الصالحين لسنوات، وذلك الصالح لا يعلم أنه أشر الخلق، فكان الشيطان ينصحه بالصلاة والذكر والصوم حتى أصبح من أتقى الناس، ولكنه كان يُهون عليه خطايا اللسان، فصار يذكر الناس بالسوء، حتى نما السوء في قلبه وأثمر، ثم رأى في رؤياه: أنه يَرضع من حلمة ثدي إبليس، فتوقف، فعلم أنه قد أُتِيَ من قِبَلِ لسانه، فتاب.

كما أن رسول الحق ﷺ، قال: **"كَفُّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ صِيَامٌ[2]"**..

---

(٢) قال: "ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم؟"؛ مسند أحمد (٣٨٣/٣٦)، حديث (٢٢٠٦٣).

(٣) لم أجد له أصلا، لكنه مقبول متناً وعقلاً؛ ترتيب الأمالي للشجري الجرجاني.

وافهم عني أن: **"ثمرة اللسان الذاكر حُسن الخلق، فدُب بلسانك في أسماء الإله ذاكرًا، يرتدع عنك أبو مُرَّة[1]".**

جِنْسُ الصواب

قال الشيخ: درسك السابع:

"ما بين (أورثْتُمُوهَا[2])، و (بِئْسَ الْمَصِيرُ)"

اعلم أن كُلَّ طائرٍ يطيرُ صوبَ جِنسِهِ، فإن كنت مُختارًا فلا تجعل من جنسك **(بِئْسَ الْمَصِيرُ) [التحريم:٩].**

من هنا وجب عليك أن تعرف نفسك حتى تطير إلى جنسك، واعلم أنَّ للإنسان جِنسَين:

الأول: جنسٌ بَنَى عَمَلَهُ على **(أورثْتُمُوهَا) [الأعراف:٤٣]،**

والثاني: جنسٌ بَنَي عَمَلَهُ على **(صِرَاطِ الْجَحِيمِ[3]) [الشعراء:٩١].**

---

(٤) إبليس.

(٢) ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(٣) ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣].

فإذا كنت مختارًا، فاختر لنفسك ألا تقع تحت قوله سبحانه وتعالى: **(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) [الحشر:١٩]**.

وكما قال الشاعر:

الدَّارُ جَنَّاتُ عَدْنٍ إنْ عَمِلْت بمَا ..

يُرْضِـي الإِلَهَ وَإنْ خَالَفْت فَالنَّارُ

هُمَا مَحـلان مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا ..

فَانْظُرْ لِنَفْسِك مَـاذَا أَنْتَ تخْتَارُ[1]

وكن يا بُني: مطيعًا للرب، واعلم أن الله قريبٌ ممن أطاع، وبعيدٌ عمن عصى، وانظر لمثال بني إسرائيل: لما كانوا مطيعين لموسى عليه السلام، فتحت لهم الطرق حتى في البحر: **(فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى) [طه:٧٧]**، أما عندما شرعوا في المخالفة، فقد ظلوا سنين كثيرة هائمين في الصحاري: **(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [المائدة:٢٦]**[2]. فكن في جانب الله على الطاعة، يُشَق لك طريقا في الدنيا سهلا، فلا تخاف درگا ولا

---

١) الماوردي: أدب الدين والدنيا، ص١٢٦.

٢) المثال من كتاب فيه ما فيه، لجلال الدين الرومي، ص٩٥.

تخش، ولا تكن مع الله على المخالفة، فتتوه في الدنيا، ولا تظهر لك عودة، فَقَدِّم إحسانك في دار فنائك، تنل إحسانًا في دار بقائك[1].

أنهى بهلول المجذوب درسه السابع، ثم قال: آتني غدًا باكرًا، عند صفصافة النهر، وآتني بقطعةٍ من القماش التي تصلح غطاءً.

صيد الكلمة:

استيقظ الدرويش مبكرًا، صلى الفجر وخرج لملاقاة الشيخ، وجده تحت الصفصافة نائمًا، جلس بجواره فاستيقظ الشيخ سريعًا، ذهب إلى النهر، توضأ ثم صلى ركعتين، ثم قال:

- جلس بهلول المجذوب على شاطئ النهر يومًا.
- أمسك مصفاته، بدأ يُصفي ماء النهر.
- لاحظ أن حروفًا أو كلمات تسبح بدلا من أسماك النهر.
- ضرب مصفاته.
- خرجت كلمة حُجُب الظلمة.

---

١) د. حمدي الجمال: قال الهُدهُد "كتابٌ في كيفية القرب من النبي الأعظم، ص٨٩، ٩٣.

- ضرب الأُخرى، خرجت كلمة حُجُب النور المحض.
- عاش صراعًا بين زخاتٍ من وسوسة الظلمة، وإلهاماتٍ من حُجُب النور المحض.
- سرح بفكره .. أيكونُ بين الظلمة والنور تضاد!!
- لا !!! لا !!! لا!!!!!
- فالله وَحَّدَ بين الضدين، فما المعنى؟
- قالت نفسه: خلق الله الإنسان ليوحد بين الضدين.
- **ضِد أول**: ضد الظُلمة مطفأة العقل.
- **ضِدٌ ثانٍ**: ضد النور محيي الإنسان.
- أرسل ربي رُسُلا وكتابًا.
- لينير العقل، لينير العقل.
- عقل الإنسان، عقل الإنسان.

كانت هذي آخر كلمات بهلول المجذوب[1]، من عاش لينير العقل بعشق الرب، ثم ذهب إلى ربه، مات موتة المستسلم السعيد بقدره.. وكأن العالم الآخر قد

---

(١) من غريب ما حدث لمؤلف هذه القصة بعد كتابته للفصل الأول، أنه شاهد بهلول المجذوب في الرؤيا، وكما حدث مع بطل هذا العمل شعر المؤلف أن من شاهده في الرؤيا يعرفه قديمًا، فكان عُمر المجذوب رحمه الله، شاهدته كثيرًا في مسجد شيخي الإمام الحسين رضي الله عنه، فكان يعجبني منه استغراقه في صلاته، صمته الدائم، الذي يُشعرك وكأنه روحٌ تتماهي في حُبِّ الحق سبحانه وتعالى.

خرج من حجب النور المحض لاستقباله.. وأنت يا هذا إذا ذهبت عند النهر ستجد قبرًا من نور تحت شجرة صفصاف، كُتِبَ عليه قبرُ العاشق، وكتب عليه ذلك البيت من الشعر:

مساكينُ أهل العشق حتى قُبورهم

عليهـا تُراب الـذُّلِّ بين المقـابر[1].

(١) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ص٥.

(٢)
كِبْرٌ يُرائي

تتابعت السنوات بعد وفاة الشيخ، والدرويش على حاله من العبادة والذكر والعشق والحُب لله، وزاد عليها هَمُّ الدعوة إلى الحق تعالى.

لما بلغ الدرويش الستين، رأى بهلول المجذوب، قال: سيضعك الله في اختبار تقابل فيه المُرَائِي الأكبر، أرجو أن تنجح في صده.

فسر الدرويش رؤياه أنه سيقابل إبليس ويجادله، فظل يدعو الله أن يسانده ويقف بجواره.

تتابعت الأيام، وفي ليلة سمع طرقًا على الباب، وجد رجلا كبيرًا، قال: هلا تحدثنا؟

أدخله الدرويش وأجلسه على قطيفةٍ لكبر سنه، جلس أمامه وانتظر أن يتحدث، لما طال الانتظار، قال الدرويش: من أنت؟

أكاذيبٌ تُنْسَج

قال إبليس:

- إنه أنا، أنا إبليس، عزازيل[١]، الْحَارث[٢]، الشيطان، أبو مُرة[٣].

- أنا، أنا، أنا، أنا الذي قُلت أنا، فكانت سببًا لتسلط الأنا.

- كانت أداة النفي **"لا"** تلك سببًا لبعدي.

- أنا أول من قال كلمة النفي، لا، لا، لا، لن أسجد، أنا خيرٌ منه، فأنا نار، وأنا سعير، وأنا جهنم، وأنا أحرق، وأنا أدمر.

- أتحدث فأقول: أنا النار وهو الطين.

- ولا تسجد النيران للطين، للتراب، للحمأ، أبدًا، أبدًا، أبدًا. فـ **(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ).**

- إن النار تبخل بوجود الشيء على وجه الأرض فتأكله، وكمثلها أنا آكل كل من ابتعد عن الجمع، لا

---

(١) من أسماء إبليس؛ ابن قتيبة: المعارف، ص١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١/ ٨٤.

(٣) من أسماء إبليس.

أدخل إلا عند الفُرقة، التشتت، الجدال، المراء، فكيف تجتمع النار التي تأخذ، مع الطين الذي يُعطي؟!!

- عزازيلٌ اسمي، قلبي حجر، أبنائي فرعون والنمروذ وأبو جهل.

- أنا أظهر في صورة المعبود كثيرًا.

- أنا سِت إله الشر، إيزيس، حورس[١].

- أنا اللات والعزى معًا، أنا إساف ونائلة[٢].

- أنا صَنم نفسك ووثن عبادتك[٣].

- وأنا العابد والمعبود.

- إنما أعبد ذاتي، إنما أعبد نفسي.

- أنا الإله؛ إله الأرض العاصي لإله السماء.

- أنا قاتل هابيل بحربَة قابيل على الحقيقة.

- أنا في كُل جريمة من لدُن آدم.

- أنا الموسوس، والخناس، والشيطان.

---

(١) تماثيل كانت تُعبد في مصر القديمة.

(٢) تماثيل كانت تعبد في مكة، وتوضع حول الكعبة قبل الإسلام.

(٣) يقصد بها هُنا العبادة المحملة بالرياء، وقلة الخشوع، وكأنها عبادة تؤدى في الوثن، أي بيت الصنم.

- أنا الآلة التي تقتل، أنا السلاح الذي يذبح، أنا خنجر الغدر، أنا سيف الظُلم، أنا السُّم الذي يُدس في الطبق، أنا اليد الخاطية، باختصار أنا اليد التي تمتد بأي سوء.

- أنا المخلوق من ضرام النار، المتوحد بـ "زين" و"غوى" [١].

- نعم، نعم، نعم.

- إنه أنا إبليس، ذلك الذي يحمل جميع خطاياك يا إنسان.

- حتى تلك الخطايا التي لا ذنب لي في حدوثها.

- ما أكفر ذلك الإنسان، الذي يلصق بي كل الأخطاء.

- هل سَمِعتُم يومًا عن جريمة بلا إنسان؟

- لو لم يكن الإنسان لما كانت لي جريمة.

- أترى لو أحسست بذنبي يومًا فانتحرت، من سيكون الخاسر؟

- لا شك سيكون ذلك الإنسان الذي يُحملني جميع الأخطاء.

---

(١) يقصد إبليس هنا، أنه بارع في الإغواء والتزيين، حتى يخرج بالناس من النور إلى الظلمات.

هجومٌ مُرْتَد

قال الدرويش: وصفت فأوفيت، ولكن لي حق الرد، **فأقول**:

- تكلمت خمسًا وعشرين فقرة، وذكرت فيها كلمة "أنا" أكثر من خمسةٍ وثلاثين مرة، فلتعلم أن قولك: **(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) [الأعراف:١٢]** من الأقيسة الفاسدة، لأنك ظننت أن الخيرية في النسب، وتَأكَّد أن النار لا يُمكن أن تقارَن بالطين؛ لاختلاف الجنس، فأنت إن وضعت بذرةً في الطين؛ نمت وتفرعت واخضرت، وإذا وضعت النبات الأخضر في النار؛ قُضي عليه، فكيف يُمكن أن تُقَارِن بين الكرم والبخل، المنح والمنع، الشُّح والعطاء**!!**

وأقول: أنت لا تعبد إلا ذاتك، تحصنت بالكبر لما ظننت أنك تعبده اختيارًا، وغاب عنك **"وَمَا تَوْفِيقِي**[1]**"** [هود: ٨٨].

تابع الدرويش:

- تقول إنك أول من استخدم كلمة النفي **"لا"**، عندما قلت لا.. لن أسجد، والحق أن أول من استخدم تلك

---

(١)﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّه﴾ [هود: ٨٨].

الكلمة كان **"الله"**، ذلك الإله الحق القديم القدوس المتعال، عندما صدح بها في عالم الأزل، قائلا: **(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا) [طه:١٤]**، فلأنه قديم، ولأنه عالم بما كان وما يكون، علم أنك ستعصي، وستغوي، وستتكبر، وستضل بعض عباده الذين قالوا: **(بَلَى**[1]**)** في عالم الأزل، فنادى بتلك الكلمة جهرًا، في ذلك العالم الواسع فقال: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ) [محمد:١٩]**، فهو أول من استخدم كلمة النفي لتنزيه الذات القدسية.

- واعلم أن حروف اللغة، كلٌ منها مُستقلٌ بذاته، لا يجتمع حرفان، إلا في حرف اللام ألف **"لا"**، كرمها الله بذلك لأنها تنفي عنه التعدد، وتنفي كل إله آخر على الحقيقة؛ فلا إلهٌ آخر، كما أن شكل اجتماع الحرفين هكذا **"لا"** وكأن الكلمة ترفع يديها صارخةً، **لا، لا، لا، "لا إله إلا الله"**.

---

(١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

- فتنفي عنه السِّنة والنَّوم المتضمن كمال القيومية[١].

- وتنفي الموت المتضمن كمال الحياة.

- وتنفي اللُّغوب[٢] والإعياء المتضمن كمال القدرة.

- وتنفي الشريك والصاحبة والولد المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره.

- وتنفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية[٣].

- وتنفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه.

- وتنفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته.

---

(١) القيوم: هو القائم على كل شيء. والقيوم: القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم. وقال الكلبي: الذي لا بدليل له؛ الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٩٠).

(٢) اللغوب: التعب والمشقة، يقال: أتانا ساغباً لاغباً، أي: جائعاً تعباً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]؛ مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٨١٠).

(٣) الصمد: اسم من أسماء الله عز وجل. وفي تفسيره ثلاث أقوال: قال قوم: الصمد: الذي لا يُطعم؛ كما قال جل ثناؤه: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال السُّديّ: الصمد: الذي لا جوفَ له. وقال أهل اللغة: الصمد عند العرب: السيِّد الذي ليسَ فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم. الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٨٢، ٨٤).

- وتنفي المِثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.
- ومن هنا فإنه كامل القيومية.

ألوهيةٌ منقوصة

قال الدرويش:

- اعلم أنك رغم هذا السجل الذي تدعي له شرفًا، ولا يحمل من الشرف الكثير، قد وصفت نفسك بالألوهية، وادعيت أنك إله.

- نعم!! فأنت إله المعصية، إله الزنا، إله الحقد، الحسد، العُجب، الشِّرك، إله القاتل لحظة ظُلمه، إله السارق لحظة وقوع جريمته، ومن هنا فأنت إلهٌ للفساد، للسوء، للشر، للمبعدين عن حضرة الحق، للمطرودين من رحمة القدوس، وكما قيل: **على أشكالها الطيور تقع**[1]. وأقول لك أيضًا: **الملافظ سعد**[2].

(١) إبراهيم أحمد شعلان: موسوعة الأمثال الشعبية المصرية، ١/٣٥٠.
(٢) إبراهيم أحمد شعلان: موسوعة الأمثال الشعبية المصرية، ١/٤٩٠.

- واعلم أن تلك ألوهية غير كاملة؛ لأنك إلههم حال وجودهم على غير الإيمان، فقد قال: **"وهو مؤمن[1]"**.

ورغم ذلك يُمكِن لجميع هؤلاء العُصاة الفرار من عبادتك، بلحظة توبةٍ يعودون بها إلى الحق، فـ **(يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) [الفرقان:٧٠]**، فتنطبق آية الحق عليك: **(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان:٢٣]**.

- واعلم أن تلك النار التي أنت منها، ليست ذات شأنٍ كبير لأنها لا تأكل أو تحرق شيئًا إلا بإذن الله، فهي لا تملك إمكانية الإحراق بذاتها، وكما أبطل منها صفة الإحراق عندما قال: **(كُونِي بَرْدًا)**[2]، أبطل عملك عندما قال: **(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) [الحجر: ٤٢]**، فكأنه أبطل صفة الإحراق فيك، بل وجعل كيدك هينًا، عندما قال: **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [النساء:٧٦]**.

قال الدرويش: هل يمكن أن نتكلم؟

---

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"؛ صحيح البخاري (٣/ ١٣٦).

(٢) ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

إبليس: كما تحب.

قال الدرويش: قُل لي كيف الإنسان عندك؟

إبليس صارخًا:

- يا إنسان: يا إنسان إنَّكَ عندي على ثلاث:

- مؤمن وذلك بعيد مني، لا أصل إليه إلا لِمامَا.

- وكافر وذاك البريء من النفاق[١]، وهو يعيش في أحضاني.

- ومنافق وذلك بغيتي، به أقاتل، وبه أناور، وبه شرِّي إليكم واصل، وأفرح بالمنافق، فقد قال في وصفه من الآيات "١٣" [٢].

---

(١) النفاق: الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر، وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، والسرب: المسلك في خفية، وقيل اشتق من: نافق اليُربوع إذا دخل في فتحة جُحْرِه وخرج من أخرى، وقال صاحب معجم العين: (للمؤمنين أمورٌ غير مُحْزِنةٍ وللمنافِقُ سِرٌّ دونَه نَفَقُ) وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل، صخب بالنهار"، مسند أحمد، ج١٣ ص ٣٠٢.

(٢) نزلت أربع آيات من بداية سورة البقرة في نعت المؤمنين، ثم آيتين في نعت الكافرين، وثَلاَث عَشْرَةَ في نعت المُنافقين.

رَدَّ الدرويش: وبعد فأقول:

- يا انسان: وبعد قَوْلَةِ إبليس تلك:

- لا تجعل نفسك ممن أعقبهم[١].

- واعلم أن عبادة الحق أن تترك عبادة نفسك[٢].

- وقد وجَّهَك الحق يوم أن قال: **(وَالْمُوفُونَ)**[٣]، ثم قال: **(وَأَوْفُوا)**[٤]، أفلا تفي بوعدك يوم أن رفعت عقيرتك صارخًا: **(بَلَى شَهِدْنَا)**[٥].

- أيضًا قلت إن الكافر هو البريء من النفاق، تقصد أنه بريء لأنه يقف ضد الحق صراحةً، مُعلنًا أنه لا يريد الإيمان، وبريءٌ إذا ما قورن بمن؟ إذا ما قورن بأهل السوء، بأهل النفاق، بأهل البعد عن الحق، بأهل العُجب والحسد، بأهل أخلاق السوء، فكأنك تقارن بين متشابهات، فقد يملك من أخلاق السوء أكثر من النفاق، ولا يقارن بأهل الإيمان والقرب، فأهل الإيمان لا نفاق عندهم.

---

(١) ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧].

(٢) من أقوال شمس تبريز، شيخ جلال الدين الرومي.

(٣) ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧].

(٤) ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

(٥) ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

رجاءٌ منحرف

قال الدرويش: حدثني عن الغواية بالأصل.

قال إبليس:

- كثيرًا ما يكون الآباء من أهل الصلاح، البعيدين عني، فإذا ما ماتوا ظن أبناؤهم أن الله يُحب الأبناء كما يحب الآباء، ناسين أن الأصل كان على صلاحٍ وعملٍ وقُرب من الحق، فقد كان الآباء من **(الَّذِينَ جَاهَدُوا**[1]**)** [العنكبوت: ٦٩]، فهداهم سُبُله، وأفاض عليهم مع المحسنين.

- وهذا نوح قال: **(يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا)** [هود: ٤٢]، فكان قَدَرُ الله في إغراق الابن.

- ونسى هؤلاء قول الحق: **(وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى)** [النجم:٣٩].

- فهل يتواجد الحصاد إذا لم يسبقه بذر؟! كما قال: **(ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى)** [النجم:٤١]، فدلت الآية على أن الجزاء الأوفى يجب أن يسبقه العمل الأوفى.

---

(١)﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- وكما قال ﷺ: **"حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل"**[1].

- أما دوري فأنا أُضخم عمل الأب في نظر الابن، فيظل يقول: كان أبي كذا، وكذا، حتى أُدخِل في روعه أنه سيدخل الجنة بعمل أبيه، فلا يُقدم لنفسه عملًا، ويكون التواكل شقيق فعله، فإذا كان يوم القيامة يُقذف به إلى النار، ولنا في ابن نوح **عليه السلام** عبرة.

النظرةُ حِجَاب

قال الدرويش: حدثني عن النَّظرة.

قال إبليس:

- اعلم أن النظرة سهمٌ من سهامي، أصوبه حيث أريد، والنظرة أساس كل شهوة، فإذا ما رَمىَ المُصوب إليه السهم ببصره في النظرة الثانية، فإنه يتأمل المحاسن، ثم يقع الالتذاذ، فَأخيل له الشهوة كما يُحب، فتتابع نظراته إلى الحرام، حتى أنه يُمكن أن يرتكب أكبر الفواحش، وتكون بدايتها نظرة حرامٍ.

---

(١) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٨٨٥/٤).

- وإذا اعتاد الإنسان أن يسرح نظره حيث يريد، كانت طاعته لي كبيرة، لأنه قد عمل على إثارة شهوته بالنظر، فأصبح عملي يسيرًا معه.

قال الدرويش: أما أنا فأذكر النَّظرة فأقول:

- قال الحق: **(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)** [الأعراف: ٢٠١].

- وقال رسول الله ﷺ: **"يا علي، فلا تتبع[١]"**.

- ومن هنا فإن من ترك النظرة خوفًا من الله، عوضه الله حلاوة في قلبه، وكما قيل: **"كُلُّ نَظْرَةٍ يَهْوَاهَا الْقَلْبُ فَلا خَيْرَ فِيهَا[٢]"**.

- والنظرة الأولى ليست إلا لمحة، فإذا وصلت اللمحة إلى القلب والنفس هجست الهواجس من النفس إلى القلب بإرادة، فخرجت الإرادة إلى البصر، فرمى ببصره إلى ذلك الشيء مُدركا له، فإن كان ذلك الشيء مُحرما عليه وجب عليه أن يكف بصره عن الرمي حين هجس الهاجس من نفسه وتحركت الإرادة، فإن لم

---

(١) عن علي بن أبي طالب: رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: " يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة"؛ مسند أحمد (٢/ ٤٦٧).

(٢) وكيع بن الجراح: الزهد، ص٧٩٤.

يكف عن النظرة الثانية فهي عليه، وهو آثم بذلك، والنظرة الأولى موضوعة عنه؛ لأنها عن غير إرادة لشيء معلوم[١].

- وقال علي بن أبي طالب ﷺ **"العيون مصائد الشيطان"**، وكان عيسى عليه السلام يقول: **"النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها خطيئة[٢]"**.

- وقال بعض الحكماء: **"من أرسل طرفه استدعى حتفه[٣]"**.

معراجٌ على الصدق

قال الدرويش: كيف تدخل للنفس؟

قال إبليس:

- إنني أدخل من الباب الواسع لكل نفس وهو: **"لم، لأن، كيف"**، والإسلام هو التسليم له ولمجريات حوادثه.

- لما كنت قد امتلكت العقل قديمًا فاخترت أن أعبد الله

---

(١) الحكيم الترمذي: المنهيات، ص٩٧.

(٢) ابن الجوزي: التبصرة، ١٦٢/١.

(٣) الماوردي: أدب الدين والدنيا، ص٣٢٢.

على الاختيار، فكان التكريم أن رُفعت مع الملائكة.

- وبعد ما حدث؛ من صراعٍ مع ذلك المخلوق الجديد[1]، جلست وتأملت وحللت فأقول: أنا من نار، وأنا نار، فأنا آكل كل شيء، وأحرق كل شيء، من السعير خُلقت، والسعير النار، وللسين والعين والراء أصلٌ واحد يدل على الاشتعال والاتقاد[2].

- إن الإنسان لم يفهم أن هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار، وأن الحق يبتليه ليميزه عن أخيه، فأنا أدخل له من هذا الباب، لأسخِطه على أقدار الله، حتى تتحرك نفسه وتلتحم بعدم الرضا عن الحق، وهذا ما أبتغيه، ولو فهم الإنسان هذه الآيات لأراح واستراح:

- **(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)** [الملك: ٢].

- **(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)** [الأحزاب: ١١].

- **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ)** [محمد: ٣١].

- **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)** [إبراهيم: ٦].

---

(١) يقصد آدم.

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٧٥).

- فلو أيقن الإنسان أن الحق قال: **(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)** [الأنبياء: ٣٥]، وقال: **(وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ)** [آل عمران: ١٥٤]، لعلم أن الدُنيا بُنِيَت على الاختبار والامتحان، وأن دواءَها الصبر.

كلبُ الحِرص يُزين ويُغوي

قال الدرويش: حدثني عن **(لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ)**، و**(وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [الحجر:٣٩].**

إبليس: إنني أتعامل مع الإنسان على مرحلتين.

الأولى: (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ)، فأمري مُنحصرٌ في التزيين وفقط، فأمرك بيدك أيها الإنسان، إما أن ترفض التزيين أو توافقه، فلا تحتج بي، لأن قرارَك بيدك.

والثانية: وهي مرحلة الإغواء **(وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)**، فإذا نجحت في تزيين الأمر للإنسان، أنتَقِل إلى مرحلة الإغواء، فينتهى الأمر إلى وقوع العبد في الذنب، إذا وافق إلحاحي له بالغواية، التي هي حَيْدٌ عن الحق وميلٌ إلى الهوى..

وإذا قلت إنه قد خَلق من يوسوس بالغواية، فقد أتم عدله عندما منحك مَلَكًا يوسوس بالصلاح[1].

تربُّصُ طاووس:

قال الدرويش: حدثني عن: **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [الأعراف:١٦]**.

أجاب إبليس: أعجبني قولي الرازي والثعالبي، قال الأول: إن الشيطان يواظب على الإفساد مواظبة لا يَفْتَر عنها، ويواظب عليها قاعدًا مُستريحًا مُتربصًا[2]، وقد أصاب كَبِد الحقيقة، بينما قال الثعالبي: المعنى:

---

(١) والسؤال الآن: هل من العدل أن يتعرض الإنسان لكل هذا من قِبَلِ الشيطان، ويقف في ذلك منفردًا؟، والإجابة في قول رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ. بِالْحَقِّ "يقصد الوسوسة"، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ "يقصد الإلهام"، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى، فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨]، واللَّمَّة هي: الهَمَّة والخَطرة تَقَعُ فِي الْقَلْبِ؛ واللَّمَّة: كَالْخَطْرَةِ والأَتيَة – هو ما يأتي إلى الفِكر من خواطر–، فإذا كانت من قِبَل الشَّيطان سُميت "وسوسة"، وإذا كان من قبل المَلَك سُميت "إلهام". ومن هنا فالشيطان يُحدث نفسك بأفعال الشر، يقابله المَلَك مُلهمًا نفسك أفعال الخير؛ سنن الترمذي؛ السنن الكبرى للنسائي.

(٢) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج١٤ ص٢١٢.

لأعترضنَّ لهم في طريق شرعك، وعبادتك، ومنهج النجاة، أي: فَلأصُدَّنهم عنه[1].

- وأنا أفعل ذلك على الحقيقة، ولكن يا إنسان إن لم تُهيئ قلبك، بالحقد، والغل، والحسد، والضغينة، حتى يستطيع استقبال إشاراتي والعمل بها، فلا سلطان لي عليك، فقد قال: **(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الإسراء:٦٥]**، وقلت: **(إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [الحجر:٤٠]**، فإن لم تُخَلِّص نفسك من آفات النفس، فلن تكون من الْمُخْلَصِينَ، وسيكون لي عليك كُلَّ السلطان.

عَلَّقَ الدرويش: حددت منهجك عندما قلت: **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [الأعراف:١٦]**، وقد فسر رسولنا الكريم معنى الآية، فقال: إنَّ الشيطانَ قَعَدَ لابن آدم بأطْرُقه[2]، قَعَدَ في طريق الإسلام، فقال: تُسْلِمُ وتَذَرُ دِينَك ودِين آبائك؟ فعصاه وأسلم، وقَعَدَ له بطريق الهجرة، فقال: تُهاجِرُ وتَذَرُ أرضك وسماءَك؟ فعصاه فهاجر، ثم قَعَدَ له بطريق الجهاد، فقال: تُجاهِدُ؟ فَتُقاتِل

---

(١) الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج٣ ص١٢.

٢) الطَّرِيق تؤنّث وتذكّر وَجَمعهَا أطرُقة؛ أبو الحسن المرسي: المخصص، ج٣ ص٣٠٦.

فَتُقْتَل، فَتُنكَح المرأة ويُقسَم المال؟ فعصاه فجاهد، قال رسولُ الله ﷺ: "فَمَنْ فَعَلَ ذلك كان حقًّا على الله أن يُدْخِلَهُ الجنة[1]".

غَيْبٌ مُدْرَك

قال الدرويش: ما النُّور والظُّلمة عندك؟

أجاب إبليس:

- إنني أعشق ظُلمة القلب، وسواده، وانطفاء نوره، وتراكب الرين[2] عليه، ولا شيء أثقل على من النور والبياض والنقاء والصفاء، وإنما مأواي الظُّلمة وإلا فلا مأوى لي ولا قرار في النور والبياض.

---

١) إسناده قوي، وحَسَّنَ إسناده الحافظ في "الإصابة". وابن حبان (٤٥٩٣)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٢٤٦). وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٨٧/٤- ١٨٨.

(٢) الرَّيْنُ: الطَّبْع على القلب. رانَ يَرِينُ على قَلبه، أي: طُبع لكثرة الذنوب، وقوله جلّ وعزّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المطففين: ١٤]، معجم العين، (٢٧٧/٨).

- واعلم أن ظلمة القلب، بُعدٌ عن الرب، وقال الشافعي رضي الله عنه[1]: كتب حكيم إلى حكيم: قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم[2].
- وكما قيل: لا يدخل الظُّلمة، إلا الظَّلَمَة.

رَدَّ الدرويش:

- أعتقد أن النور يقابل الظُلمة. وإذا كان النور هو الوجود المحض، فالظلمة هي العدم المحض، لأن المعدوم ليس موجوداً لنفسه ولا لغيره. والمعنى أن: النور هو الوجود الإيجابي، والعدم هو سلب الوجود. ولما كان الوجود ينقسم إلى ما له هذه الصفة من ذاته وإلى ما هي له من غيره؛ ولما كانت نسبة الوجود إلى هذا الأخير إنما هي من حيث إضافته إلى غيره لا من حيث ذاته، اعتُبر في حكم العدم المحض. وهذا هو شأن العالم أو كل ما يطلق عليه اسم **"السوى[3]"**. فهو في ذاته عدم محض، والوجود الحق هو الله تعالى

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، (٢٥/١).

(٢)﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢].

(٣) ما سوى الله.

كما أنه هو النور الحق، عندما قال: **(لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) [غافر: ١٦]**.

- وقال أيضًا: **(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) [النور: ٤٠]**، والبحر اللجِّى هو الدنيا بما فيها من الأخطار المُهلكة، والأشغال المُردية، والكُدورات المعمية. والموج: موج الشهوات الداعية إلى الصفات البهيمية، والاشتغال باللذات الحسية، وقضاء الأوطار[١] الدنيوية[٢].

هوىً مُتَّبَع:

قال الدرويش: ما الهوى عندك؟

قال إبليس:

- سُمِّي الهوى بذلك؛ لأنه يهوي بالنفس إلى قاع الذنب والخطيئة، فيهوي معها القلب والعقل، ثم غدًا ذلك الجسد في النار. واعلم أن أصل المعصية في ثلاث: الكِبر، والحرص، والحسد، وينبع الثلاث من دِنِّ الهوى. وقيل إن أكثر الصواب في خلاف الهوى، وما

---

(١) الوَطَرُ: الحاجةُ، والجمع الاوطار؛ الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٨٤٦).

(٢) الغزالي: مشكاة الأنوار، ص٨٣.

طردني من رحمة الرب إلا هواي، فلم أسجد لأمر الله!! لمَّا أمر. فقد قال: **(وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [ص:٢٦].**

وقال الحسن البصري: **"الهوى: شر داء خالط قلبًا[١]".**

- ومن هنا تجد الرجل يكذب، يتكبر، يرائي، يحسد، ذلك لأن هوى نفسه في فائدةٍ يُحصلها في الدنيا، وما أنا إلا قائدٌ أقود الإنسان بلجام الهوى، فأذهب به حيث أريد.

- فكما ترى إني برئ.

رَدَّ الدرويش:

- تكلمت عن الهوى فأوفيت أيها... أيها البرئ، ولكني أراك شيخ الهوى، وأرى أن نفسك بها من الهوى، ما لو وزع على أهل الأرض لكفاهم، وليس أدل على ذلك من قصتك مع موسى عليه السلام، يوم أن قُلت: **"أنا لم أسجد له حيا، أأسجد له ميتا[٢]".**

---

(١) أحمد بن حنبل: الزهد، (ص٢١٤).

(٢) ورد أن إبليس سأل موسى أن يسأل الله له التوبة، فقال له الحق: مُره أن يسجد لقبر آدم فأتوب عليه، فرجع موسى مسرورا فأخبره بذلك، فغضب من ذلك واستكبر. ثم قال: أنا لم أسجد له حيا، أأسجد له ميتا؛ السمرقندي: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٢٠٦).

- وإذا كان الحق قال: **(فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) [النازعات: ٤١]**، لمن **(نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) [النازعات: ٤٠]**، وقال أيضًا: **(وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ) [ص: ٢٦]**، فالقضيةُ هنا محسومة، فإنها تؤيد قول شيخي بهلول المجذوب، قال: **"من طَلَّقَ الهوى، وآثر هوى الله على هواه، كان من وسواس جسده على البعد، ومن قول الرب على القرب، ومن قول رسوله ﷺ على التماهي[1]"**.

- والهوى على الحقيقة عن الخير صاد، وللعقل مضاد؛ لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويُظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكا، ومدخل الشر مسلوكا.

- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الهوى إله يعبد من دون الله. ثم تلا: **(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)**

- وكما قال الشاعر:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى
إلى بعض ما فيه عليك مقال[2]

---

(١) التماهي: أن تذوب في العمل بالحق، وتجعله سِمَةً وعادةً وديدن.

(٢) ابن الجوزي: ذم الهوى، ص٣٤.

وَسْوَسَةٌ مُتَأَوَّلة:

قال الدرويش: اذكر لنا شيئًا عن وساوس التأويل، التَّفَكُّرُ، الأنس.

قال إبليس: سألت عن وساوس التأويل، فاعلم أن طلاب العلم ثلاثة، واحد يطلبه للعمل به، وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط، وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتناول الحرام فيجعله حلالا فهذا يكون هلاك الحق على يديه، فهو مني على قُرب، لأنه ضَالٌ مُضِلٌ لغيره، فأنا أُلَبِّس عَلَى هؤلاء لتركهم البحث عَن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل، فيتحول التأويل إلى تأويلٍ متحدٍ بالهوى. وهذا هو العلم الضار الذي استعاذ الرسول ﷺ منه بقوله: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ[1]"**.

قال إبليس: التَّفَكُّرُ عندي، هو أن يفكر العبد في الدنيا، وفي كيفية تحصيل المال من أي وجه، حلاله وحرامه.

رد الدرويش: قال الحبيب المصطفى ﷺ: "تَفَكُّرُ سَاعَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ"، وقيل: إذا أراد

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، (١٧/٦).

الإنسان أن ينال فضل التفكر، فليتفكر في خمسة أشياء: أولها: في الآيات والعلامات[1]، والثاني: في الآلاء والنعماء، والثالث: في ثوابه، والرابع: في عقابه، والخامس: في إحسانه إليه وجفائه له[2].

قال إبليس: ذكرت الأُنس، قيل: سُمّيَ سليل الطين بالإنسان؛ لأَنَّهُ يَأنَس ويُؤنَس به، وقيل: للإنسان أُنْسَان: أُنسٌ بالحقِّ وأُنسٌ بالخَلْق.

فروحه تأنس بالحق، وجسمه يأنس بالخَلْق[3]. وإلى هذا المعنى أشارت رابعة العدوية[4]:

---

(١) أن ينظر في قدرة الله تعالى، فيما خلق وفي خلق نفسه كما قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

(٢) فإن التفكر في ثوابه يزيده رغبة في الجنة، واجتهادا في طلبها، وقوة في طاعة ربه، وأما التفكر في عقابه، فهو أن يتفكر فيما أعد الله لأعدائه في النار من الهوان، والعقوبة، وأما التفكر في إحسانه إليه، فهو ما ستره عليه من ذنوبه، ولم يعاقبه بها؛ السمرقندي، تنبيه الغافلين، (ص: ٥٧١)

(٣) الفيروز آبادى: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٢ ص٣١.

٤) كَانَت من أهل الْبَصْرَة، وَكَانَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ ﷺ يسْأَلهَا عَن مسَائِل ويعتمد عَلَيْهَا ويرغب فِي موعظتها ودعائها، وتوفيت (١٨٠هجرية)؛ أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٣٨٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨ ص٢٤٣.

ولقد جعلتك في الفؤاد مُحدثي ..
وأبحـتُ منى ظـاهري لجليسي
فالجسـم منى للجليس مؤانِس ..
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي[1]

وهناك أنسٌ بي، أي بالشيطان، ذلك أني آنس من اتبعني في طريق المعصية بالدنيا.

قال الدرويش:

- إن الأُنس بك أُنسٌ على الظاهر لا على الحقيقة، قال تعالى: **(حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) [التوبة:١١٨]**، فلم تُضيِق الأرض على العاصي فقط، بل كان أكبر من ذلك ضيق نفسه، ويؤيد ذلك الآية: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) [طه: ١٢٤]**.

صلاةٌ صاعدة:

قال الدرويش: كلمني عن الصلاة المقبولة.

قال إبليس: كنت قد قُلت: **(لأَقْعُدَنّ[2])** ففي الصلاة، أنا أظهرُ بشدة، أملي أن تُلقى في وجه العبد، رَفضًا

---

١) محيي الدين بن الخطيب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، ص١١٤.

٢) ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

لها من قِبَلِ الرَّب، فبمجرد أن يبدأ الإنسان صلاته، أزاحم دُنياه في عقله وفِكره، فلا يَعْقِل ما يقول، ولكن إذا أراد العبد الصلاة المقبولة، توضأ فأسبغ، فإذا كَبَّرَ، شعر في قلبه أنه يقف أمام الأكبر، وتصاغرت نفسه وانفسح قلبه، فكان ذلك بدايات الصلاة المقبولة.

فإذا قال الإمام: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة:٢]**، حَمِدَ الله وتذكر نِعَمِه، فإذا قال **(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**، مجد الله بأسمائه، وقال يا رحمن يا رحيم اجعلني مرحوما، فإذا قال الإمام: **(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)**، دعا منكسرًا فقال: اللهم ملكني نفسي، واجعلني باذلا لها في طاعتك، فإن قال: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**، قال العبد: أنت أنت وكل شيء بعدك عدم، فإذا قال الإمام: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**، دعا بالهداية باذلا قلبه ونفسه، وهكذا... ووجب عليه أن يرفع صوته في الصلاة قليلا، حتى يطغى صوته بالآي على صوتي بالوسوسة والنجوى.

فإذا ركع فقال: **"سبحان ربي العظيم"**، شعر بعظمة الله، وفَنِيَ في ذاك الشعور، فإذا سجد فقال: **"سبحان ربي الأعلى"**، شعر أن الحق هو الأعلى، والعبد هو الأدنى، فتذلل للقبول تذلل الأدنى للأعلى، وفي كل ذلك استجمع في قلبه، قوله تعالى: **(وَالْخَاشِعِينَ**

وَالْخَاشِعَاتِ) [الأحزاب:٣٥][١]، فإذا امتلأ القلب خشوعًا، خرج عن ذاته، فلا يشعر إلا بالله، ولا يرفع إلا بالله، ولا يركع ويسجد إلا بالله، وهذه هي الصلاة المقبولة.

قال الدرويش: أراك في العلم بارعًا، وللنص حافظًا، حتى وكأنك قد بقرت[٢] بطن العلم، ولكن فلتعلم أن علمك ذاك، مردودٌ، مكذوبٌ، لأنه إنما جُعِلَ العلم لِيُعْمَلَ به، فإن لم يكن هناك عمل بما تعلم فلا علم. فما فائدة الفرس الأصيل بلا لجام، النحل بلا عسل، الطب بلا دواء، لقد كتبت الشقاء على كُلّك.

- لقد كتبت الشقاء على كُلّك.

- لقد كتبت الشقاء على كُلّك.

- في اليوم التالي لهذا اللقاء، تذكر الدرويش قول بهلول المجذوب حيث قال: عندما ترى قلبك ساجدًا لله

---

١) والمعنى فيه ثلاثة أوجه: أحدها: المُتواضعين والمُتواضعات.. الثاني: الخائفين والخائفات.. الثالث: المُصلين والمُصليات. والخُشُوعُ والتَّخَشُّعُ والتَّضَرُّعُ واحدٌ، والخشُوعُ معناه من الخُضُوعِ، إلاَّ أنَّ الخُضُوعَ في البدنِ، والخشوع: السّكون والتذلُّل والضراعة والسّكوت؛ الخليل بن أحمد: كتاب العين؛ الماوردي، النكت والعيون.

٢) بقرت: شققت؛ ابن دريد: جمهرة اللغة.

في صلاتك، فاعلم أنك تصلي صلاة العاشق، التي قال عنها النبي ﷺ **"صلاة مودع[1]"**، وإذا حدث لك ذلك فاعلم أن ذلك بداية الوصول إلى الحق، فتكون عبدًا له على الحقيقة.

علم الدرويش أنه قد سجد قلبه، وقد ذاب في الله عشقًا.

---

١) حدثنا علي بن عاصم، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عثمان بن جبير، عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عظني وأوجز، فقال: "إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا، واجمع الإياس مما في يدي الناس"؛ مسند أحمد (٣٨/ ٤٨٤).

(٣)

تتابعت السُّنون بعد هذا اللقاء، والدرويش على حاله من العبادة، ولكنه ترك القرية وذهب إلى الصحراء القريبة ليخلو بربه، كان قد بلغ الثالثة والستين إلا أيامًا قليلة، لاحظ أن هناك طائرًا يضرب بجناحه على مقربةٍ من كهفه، ذهب إليه فوجده مالك الحزين وقد كُسر جناحه، أخذه وبدأ يعالجه، لاحظ أن ذلك الطائر يتكلم، قال له مالك الحزين يومًا: ما قصتك؟ فحكى الدرويش قصته للطائر، ثم قال الدرويش:

- أرسلك الله حتى تحمل عني نجواي إليه سبحانه فتصدح بها في ذلك العالم الواسع، سنبدأ غدًا.

اليوم الأول:

قال الدرويش: (١) منشور العشق:

- فَتَّشت في لوح صَدرِيَ المحفوظ، وبعد جهدٍ.
- وجدت منشورًا لِعِشق حِبِّيَ القديم.
- فيا حِبِّي، إن قَدَّرْتَ يومًا فضح هذا المنشور .
- فلا تَبُح بأسرار دُلّي لك.
- فقد تذللت شوقًا من عالم الأزل.
- ولا تَكتُب عليّ أن أحترق بنور الجلال يومًا.

- فماذا يفعل نُور جلالك في رمادٍ قد فَنى.
- وإن كنت قد رفعت كلبًا فذكرته في كلامك.
- فقلت: (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) [الكهف: ١٨] .
- ونسبته إلى أهل الحق.
- ألا تنسبني إليك اليوم فأسعد.
- وإن كنت مننت على بَغِيّ لكلب سقتهُ(١).
- ألا تدخلني في معية حُبك، رغم أني لست باغيًا.
- وإن كنت كتبتني في أم الكتاب من المشتاقين.
- فمُن علي بنظرةِ ذَوبٍ، ولا تقطع نظري إليك بمنشار السين(٢).

---

١) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به"؛ صحيح البخاري (٤/ ١٧٣).

٢) السين عند أهل النظر مثل الأسنان، أو بالأحرى مثل أسنان المنشار، الذي يجرح شفتي عاشق الحق، ولجلال الدين الرومي رأي آخر، عندما مدح شمس التبريزي، فقال: "أما شمس التبريزي الذي هو فخر الأولياء، فسارت سين أسنانه لي مثل ياسين"، والشرح: أنه لما كان شيخه شمس هو طريق معرفته بالله، صارت ابتسامته مثل ياسين السورة، التي هي من وسائل القرب إلى الحق.

- فإنني عندما أتأمل اسمك في قلبي **"الله، لله، له، هُـ"**.

- لا أجد حرفًا، ولا حبرًا، ولا ورقًا، ولا أنا.

- وإنما أجدك أنت(١)، فَمُن وتعطف.

- أو كما أقول: أنت أنت وكل شيء بعدك عدم.

- وكما قيل: من كان في قلبه مَحِلٌّ لغير المحبوب، فهو بذلك الغير محجوب(٢).

- وكما قال أبو اليزيد(٣):

العشق إذا دخل؛ لا يترك في القلب ما دون الحق(٤).

---

١) هذه الكلمة بمعنى مجازي، أي في قلبي بقدرته، وبمحبته، وبمعرفته، وبقوته، وبنوره، ولا يوجد لها تمثيل حقيقي، حدثنا جعفر الفريابي: حدثنا إسحاق بن راهويه: حدثنا بقية بن الوليد، عن محمد بن زياد، عن أبي عنبةَ الخَولانيِّ يَرفعُهُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «إنَّ لله آنيةً مِن أهلِ الأرضِ، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِهِ الصالحينَ، وأحبُّها إليهِ أَلينُها وأَرقُّها»؛ مسند الشاميين للطبراني (٨٤٠)، قال الهيثمي: إسناده حسن، وقال الألباني في الصحيحة (١٦٩١): إسناده قوي. ورغم هذا الإسناد قال ابن السبكي: (٦/ ٣٣١) لم أجد له إسناداً. وقال السخاوي: لم أجد له إسناد معروف.

٢) هذا البيت من أقوال السيد سلامة الراضي، كتاب النفحة المحمدية.

٣) طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي أبو يزيد الزاهد المشهور كان مجوسيا ثم أسلم، بأي شيء نلت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار، توفي سنة إحدى وستين ومائتين؛ الوافي بالوفيات (١٦/ ٢٩٥).

٤) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ص٢٠٩.

- فيا هذا إن أردت أن تقرأ قصتي.
- فاعتصر هذا الورق.
- ينساب دمي.
- مُخبرًا لك عن قصدي "فافهم".

اليوم الثاني:

قال الدرويش: (٢) (عاشقٌ في غار):

- جلس عاشقٌ مع الحق يومًا(١)، يتلو ورده.
- فلمح شمعة تُنير آلام روحه.
- فقالت روحه: إن هذا الشمع لا ينير بذاته، ولا يوجد له نورٌ من مادته.
- ولكنها تلك الزُّبالة(٢) التي تنتحر لتمنح ضوءًا.
- فاحترقت الشمعة عشقًا في تلك الزُّبالة.
- فَحِفَاظ الشمع على الزُبالة حِفظٌ للحياة.
- والشمع والزُبالة عاشقٌ ومعشوق.
- وإذا كان حُب الزُبالة تمكن من روحي فأحرقها.

---

١) قَالَ: يَا مُوسَى، أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي؛ مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٠٨)

٢) الزُبالة: يقال للفتيلة التي يُصلحُ بها السراج زُبالة وزبّالة، وهي التي تضيء.

- إذن فأنا الشمع العاشق، **والعبد الأول**[1] تلك الزُّبالة المعشوقة.

- فهو مني النور، وأنا له حفيظ.

- ومن هنا فإن قوة الاحتراق في الزُبالة تجعلني أتبدد.

- ولكنني أتماهى[2] مع ذلك **العبد**[3] الذي اعتلى العَالَـمَيْن، مُلكًا ومَلكوت.

الإشارة:

- اجعل زُبالة روحك تُنير من جسدك الظلمة.

- واجعل شوقك للعبد الأول ﷺ كالبحر بلا بداية ولا نهاية.

- ولتكن لك زُبالة من جهة الحق؛ تنيرك.

- وإذا كان الشمع لا ينير بذاته، فاجعل حَبِيبَهُ ﷺ زُبالتك المنيرة.

- واعلم أن الشمس عندما تسطع على جبلٍ.

---

١) العبد الأول: أذن الخير أحمد، ومحمد، والنبي، والرسول الأعظم.

٢) التماهي هنا: أن تذوب في رسول الله، وتجعل الذوب في حُبه، سِمَةً وعادةً وديدن.

٣) يقصد الدرويش: أذن الخير أحمد.

- يعكس الذهب ضوءها بشدة.

- بينما لا يسطع ما حوله، لاختلاف المادة.

- فلا تجعل من نفسك مادة مُعتمه.

- وأبدِ لشمس الحق رغبة صلاحٍ.

- حتى تسطع تلك الروح الذهبية الأحمدية، فتهبك النور.

اليوم الثالث:

قال الدرويش: (٣) (الإنسان الأول):

- أحبابي: إنما الإنسان حيوان بجسمه، مَلَكٌ أو شيطانٌ بروحه[١].

- فأن يكون الإنسان حيوانًا فقط شيءٌ معيب، وأن يكون ملاكًا بالكلية، ليس بالشيء المفيد[٢].

- ولكن قمة الوصول، هو أن تنجح في إثبات إنسانيتك، أي: أن تكون (إنسان) وفقط.

– واعلم أن الله قد خلقك مَلِكًا، ولكن على هذه الأعضاء.

---

١) هذا البيت من أقوال السيد سلامة الراضي، النفحة المحمدية.

٢) هذا البيت من أقوال فريد الدين العطار، إلهي نامة.

- فَأذِل أعضاءك في طريق القرب والمحبة.
- يجعلك مَلِكًا إلى الأبد، كما قال: **"كنت يدك"**[١].
- وأعِز أعضاءَك في هذه الدنيا.
- يجعلك عبدًا لدنياك وإلى الأبد، كما قال: **"لأسلطن عليك"**[٢].
- فلا تُطفئ مِصباح روحك.
- ولا تُطلق كلب الحرص منك.
- فَتَصير محجوبًا إلى الأبد.

---

١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"؛ صحيح البخاري، ج٨ ص١٠٥.

٢) ورد في الأثر عن كعب الأحبار عن التوراة: "يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفى اكثر منه لا تطمع ومن اقل منه لا تجزع فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وإن كنت لم ترض به وعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البر ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندي مذموما؛ نقلا عن: إسماعيل حقي، روح البيان.

الإشارة:

حكاية: يُحكى أن عمياء تزوجت أبكم(١).

- فكان هو يقودها حيث تريد.
- وكانت هي تتكلم عن لسانه.
- فمضت حياتهما على التكامل، فإن أردت لشبحك التكامل.
- فاعلم أن الشرر لا يَنتج إلا بدق حجرين.
- فَدُقّ نورانية روحك، بظلمة جسدك.
- يَنتُجُ شررًا، يُخرِجُ شوقًا، يَصِل بك إلى المحبوب.

اليوم الرابع:

قال الدرويش: (٤) (القلب مَلِك):

قال الشيخ للمريد: اعلم أن القلب على ثلاث:

- **قلبٌ بالله:** وهو ذلك القلب الذي اصطلح مع الحق، فأصبح هواه في قُربه، وأصبح العمل عنده يسير

---

١) فيه قولان: أحدهما: أن يكون الأبكم: المسلوب الفؤاد، الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه. والقول الآخر: أن يكون الأبكم: الأخرس، وتقصد القصة المعنى الأول.

على الطاعة، لا يأمر إلا بخير، ولا يسير إلا في رضا، ولا يعمل إلا على الموافقة.

- **وقلبٌ بك**: وهو ذلك القلب الذي يطلب الدنيا ساعة، ويطلب الآخرة ساعة، فهذا قلبٌ عسى أن يقبله الله يومًا.
- **وقلبٌ بالشيطان:** وهو ذلك القلب الذي جعل الشيطان بُدٌّ[1] يسكن اللُّب منه، فهو يقوم معه على الطاعة، لا يخالفه، تمكن المطرود من قلبه حتى أصبح لا يوسوس له بالسوء، فقد طُبِعَ السوء في قلبه، فيمتلئ بالنكات السُّود[2]، فَيُرِين الله على قلبه.

الإشارة:

- قال الحبيب ﷺ: **إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يُقلبها**[3].
- يا لسعدي، الحِبُّ تُلامس أصابعه قلبي.
- يا لفخري، أن قَلَّبتَ قلبي.

---

١) بُدّ: صنم، أو وثن.

٢) قال صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت، حديث إسناده قوي، وأخرجه الحاكم ٥١٧/٢.

٣) الحديث في صحيح مسلم؛ وفي مسند أحمد؛ وفي مصنف ابن أبي شيبة.

- سعيدٌ، حتى لو قلبتهُ تجاه الضِّد.
- يكفيني أن خطر لك قلبي، ورغم ذلك.
- كُلِّي ثقة أنَّكَ لن تُقلبه إلا تجاه حُبك.
- وأين هو القلب الذي لم يتمزق إربًا من عشق الحق؟[١].
- وكل ما هو غير عشق الإله الأجل، هو نزعٌ للروح، وإن كان قضمًا للسكر [٢].

اليوم الخامس:

قال الدرويش: (٥) (فوضى الخيال):

- اعلم أن الطفل في بطن أُمه يتغذى الدم.
- والدم؛ ذلك النَّجَس الأحمر.
- فإذا ولد تغذى اللبن؛ ذلك الطُّهر الأبيض.
- الذي قيل فيه (لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) [محمد:١٥].
- وقال عنه جبريل: أصبت الفطرة(٣).

---

١) هذا البيت من أقوال جلال الدين الرومي: مثنوي، ج١ ص١٧٤.

٢) هذا البيت من أقوال جلال الدين الرومي: مثنوي، ج١ ص٣٢٩.

٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاءني جبريل، بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن. قال جبريل: أصبت الفطرة"؛ مسند أحمد.

- فاللبن فطرة، والفطرة طهارة، والطهارة بيضاء.
- فإذا ما بلغ الإنسان، تغذى على الدُنيا، المتعددة الألوان.
- وإذا ما كَبرت أصبحت مُختارًا، فوجه السؤال.
- هل ستستمر في نَجَسك؟ أم ستُبحِر نحو الطهر؟
- وإذا قُدِّرَ لك الفطام يومًا فاجعل طعامك **(فسَيَرَى[1])**.

الإشارة:

حكاية: يُحكى أن الدُّنيا والشيطان كانا يصطادان النون[2] على شاطئ النهر، فكانت كل النون التي تُصاد صغيرة.

فقالت له الدنيا: أنا وأنت لا نصيد إلا صغير النون.

فقال إبليس: لقد أُجبرتُ عن كبير النون يومًا، لما قال السيد الأعظم:

(لَيْسَ لَكَ[3])، وقلت: **(إلا عِبَادَكَ[4])**.

---

١) ﴿وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

٢) السمك أو الحوت.

٣) ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

٤) ﴿إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

- فيا هذا: قَوِّ اتحادك بالتقوى تكن من كبير النون.
- وافطم تلك الروح عن لبن الشيطان[1].
- فقد قال إبليس: من كان عند الحق ذا قدر، فلا عرفت طريق قلبه.
- فيا من كنت تشرب الدم يومًا، أما آن لك نصيب في الطُهر؟
- فاركب مع نوحٍ، تصل إلى أمان البر يومًا.
- وإن قُلت: (سَآوِي[2]) **[هود:٤٣].**
- فلن تغرق وحدك، بل سيغرق جَبَلُك معك.

اليوم السادس:

قال الدرويش:(٦)(خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) [الشورى: ٤٥]

- قال الشيخ: اعلم يا بني أن الله قد وضع حرف الذال في حروف اللغة؛ لأنه دليل الذل بين يديه.
- ومنه حرف النِّسبة، قال: **(ذُو الْجَلَالِ) [الرحمن:٢٧]**، وقال: **(وَذَا النُّونِ) [الأنبياء:٨٧].**

---

١) هذا البيت من أقوال جلال الدين الرومي: مثنوي، ج١ ص١٧.

٢) ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود:٤٣].

- وانظر إلى انحناء الذال **"ذ"**، الدال على الخضوع، الذي منه ركوع وسجود.
- وتَفَضَّلَ فَكَرَّمَ تلك الذال.
- بأن وضع فوقها النُقطة التي هي أصل الموجودات[١].
- حتى يرى ذُلّك في سجود روحك.
- فاكتب ذلك الحرف على لوح تُرابك، الذي هو اصلك.
- وعش ذَلِيلا لربٍ، إذا أظهرت له ذُلا رفعك حُبًّا، حتى لا يرى ذُلَّكَ إياه، وكرمك عند المخلوقين.
- لأن غيرته عليك أشد.

قال العبد الأول: والله أغير[٢].

---

١) هي نقطة الأبد، التي هي النقطة تحت حرف الباء، من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وهي عند أهل التصوف محتوية على الحكمة الأبدية. قال كعب الأحبار: خلق الله القلم من نورٍ أخضر، ثم أنطقه، بثمانية وعشرين حرفًا، هُن أصل الكلام، وهُيأت بالصوتِ الذي يُسمع ويُنطق به، فنطق بها القلم، فكان أول ذلك كله نقطة، فنظرت إلى نفسها، فتصاغرت وتواضعت لربها، وتمايلت هيبةً له، وسجدت، فصارت همزة. فلما رأى الله عز وجل تواضعها، مدَّها وطوَّلها، فصارت ألفا، فتكلم بها، ثم جعل القلم ينطق بحرف حرف، إلى ثمانية وعشرين حرفًا، فجعلها مدار الكلام، والكتب، والأصوات، واللغات، والعبارات كلها، إلى يوم القيامة، وجعلها كلها في أبجد، وجعل الألف لتواضعه مفتاح أول أسمائه، ومُقدمًا على الحروف كلها: كتاب الحروف، تحقيق: رمضان عبد التواب، ص١٣٣.

٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله، إني لأغار، والله أغير مني"

الإشارة:

- قال عمر[١]: **لا يتقي اللَّهَ عَبْدٌ حتى يجد طعم الذُّل**[٢].
- وقال تعالى: **(وَاخْفِضْ جَنَاحَ الذُّلِّ) [الإسراء: ٢٤].**
- فلا تغلق باب الذل في وجهي.
- فَيُذهَب بي إلى **"الاستكبار"** الذي هو ضِده.
- فيا هذا: أنخ[٣] بوادي الذل، واسكن جبل الانكسار، تنل قربًا.
- وكما قال العطار:

مساكينُ أهل العشق، حتى قُبورهم
عليها تُراب الـذُّلِّ بين المقـــابر[٤].

- وعِدْنِي إلهي من الذل إلا إليك.
- فأنت تعلم بتلاطم أمواج قلبي بمحبتك.
- فلا دواء لدائي غير وصالك.

---

١) عمر بن عبد العزيز.
٢) ابن حبان: روضة العقلاء، ج١ ص٢٩.
٣) أنخ: إنزل، وهو من برك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه.
٤) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ص٥.

اليوم السابع:

قال الدرويش: (٧) (آهاتُ فانٍ)

- آ آ آ هٍ ، آ آ آ هٍ ، آ آ آ هٍ ، آ آ آ آ آ آ آ هْ.

– اعلم أن التأوه من جديد اللغة، لا يتعلم حروفها إلا من احترق قلبه عِشقاً، في حُب حقٍّ، قيومٍ، حيٍ، عالمٍ، بصيرٍ.. ومن هنا..

– فالتأوه لا يخرج إلا من القلب، وتأوه اللسان رياءٌ مردُود.

– فكان لداود النبي يَومٌ يتأوه فيه فيقول: **"أوْهُ من عذاب الله[١]"**، وفي

رواية: **"أوْهُ مِنْ عَذابِ اللَّهِ قبْلَ لا أوْهُ"**.

– ومدح الحق إبراهيم، فقال: **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ) [هود:٧٥].**

- وقال الحبيب ﷺ عن ذي البجادين[٢]: **"إِنَّهُ أَوَّاهٌ"، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يذكر بِالْقُرْآنِ".**

---

١) مصنف ابن ابي شيبة، ج٧ ص٦٩.

٢) أحد الصحابة، كان يرفع صوته بالذكر، فقال عمر: أمُرَاءٍ هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بل هو أحد الأوّاهين". توفي في غزوة تبوك؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤ ص١٤٠.

- فإذا أردت أن ينساب ماء الحياة في ظلمة روحك، فتأوه كثيرًا، حتى لا يُرى منك إلا دُلا.
- وتأوه مرة أخرى **"آه، آآآآآه"**، تُزل أكدار القلب، وتُصبح بها على الوصَال.
- وأغمض عينيك، حتى تراه ساطعًا، كشمس الضحى.
- وإن كنت ممن **(خُلِقَ هَلُوعًا) [المعارج:١٩]**، فبذكره **(تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:٢٨]**.
- وإن مت يومًا، فيكفيك شرفًا، أن العاشق لا يُكفن إلا في دمائه، وأن روحك ستبكيك الدم، **"فافهم"**.

الإشارة:

- يحكى أن إبليس تحالف مع الدنيا على الإغواء، فقال لها: أنا لي الباطن، فقد قال:
- **"مجرى الدم[١]"**، وأنت لك الظاهر بجميع ألوانه.
- وفي يوم ذهب ليغوي عابدًا متأوهًا كثيرًا.

---

١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٦٧٩٩)، ومسلم (٢١٧٤).

– فوجد الدنيا تَفِر من عنده، وكان شَعرها قد احترق.

– فسألها: ما هذا؟

قالت: لما ذَكَّرتُه فوت الدنيا، تأوه **"آ آ آهةً"** أن تفوته الآخرة، فحدث ما رأيت.

– فقال إبليس: من كان مع الله على تقديم الصدق، العشق، الحب، الدم، القربان، الفناء، الروح، الطهارة، كان منا ناجيًا.

– فيا هذا: احرق كل ما قرأت روحك، واعتَمِد على الحق.

– واعشق حتى يسلبك العشق وجودك.

اليوم الثامن:

قال الدرويش: (٨) (الدم قربان)، (لَنْ يَنَالَ[١]) [الحج:٣٧]

– في البداية: لما شرع الله القربان في القديم.

– كان من قربان هابيل على القرب، ومن قربان قابيل على الضد.

---

١) ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

- لأن الأول قدم أفضل كبش، والآخر قدم رديء الحنطة.
- أي أن أحدهما قدم خير مالٍ، وقرب الآخر شر مالٍ.
- فتبع قبول قربان هابيل تحقيقًا للقرب من الحق، وأول شهادة في تاريخ الإنسان، وأول جريمة قتل، وأول رفع لكبش للسماء.
- تتابع القربان.
- فقدم إبراهيم ذلك الكبش الذي نزل من السماء يحمله جبريل، وقيل

إنه كان يُنَمَّى لتلك اللحظة المهمة في تاريخ البشرية، وهي فداء إسماعيل.

- وكان رسول الله ﷺ قد قال: **"الصلاة قربان"**[1]، **"والدم قربان"**[2].
- ثم أعلن الحق بأنه: (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) [الحج:٣٧].

---

١) اسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات غير ابن خيثم، فصدوق لا بأس به؛ والحديث في مسند أحمد، ج٢٣ ص٤٢٥.

٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ضحيت فضح بسمين، واحتفر للدم حفيرا فإنه قربان"؛ والحديث ضعيف الإسناد؛ أبي نعيم الأصبهاني: تسمية ما انتهى إلينا من الرواة، ص٧٣.

- ورغم ذلك فقد وَجَّهَ الحق فقال: "يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني"(١).
- فافهم: أنه لما كانت معدة الفقير قد امتلأت بطعام القربان، فكأنما وصلت فائدة القربان إلى الرب، وهي التقوى، فقال: "لوجدت ذلك عندي".
- وبعد كل هذه القرابين، لا يبقى إلا أن تضحي بروحك قربانًا على مذبح الرب، تنل قُربًا.

الإشارة:

حكاية: دخل رجلٌ إلى المسجد يومًا.

- قصد قيام الليل.
- وعندما ساد الظلام، سمع صوتًا.
- فقال في نفسه: من هذا العابد الصادق في المسجد.
- فبات متضرعًا، مستغفرًا، تائبًا.
- لا لرؤياه الحق، بل لرؤياه العابد، وهذا عين الرياء.

---

١) قال الحق: "يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي"؛ صحيح مسلم: ج٤ ص١٩٩٠.

- أفسد الرجل قربانه إلى الرب، فقد قال: **"الصلاة قربان"**.
- حتى أشرق الصبح الصادق، وتسللت خيوط شمسه.
- اختلس الرجل نظرة إلى هناك، فوجد كلبًا نائمًا في المسجد[١].
- قدم الرجلُ قُربان ليلته، صلاة، ودعاء، وقربًا، وعبادةً.
- ولكن إلى كلب الرياء، فاحرق قلبك فوق نيران الخجل يا هذا.
- فقد قال الحق: **"أنا أغنى الشركاء عن الشرك[٢]"**.
- فيا هذا: لا تجعل الليل يسقط يومًا، وأنت بقلب عاصٍ، وإلا فإنك هالك، وللشيطان عابد، وللرياء شريك.
- وكما قال الرومي: **فاهرب إلى إله موسى وإلى موسى، ولا ترق ماء الإيمان من فرعونيتك[٣]**.

---

١) فكرة القصة من إلهي نامة لفريد الدين العطار، ص٥٤.

٢) صحيح مسلم، ج٤ ص٢٢٨٩.

٣) هذا البيت من أقوال جلال الدين الرومي: مثنوي، ج١ ص١٠٠. والمعنى: اعلم أيها الإنسان أنك دائمًا ما تلعب دور الفرعون، ولكن إيمانك هو الذي

اليوم التاسع:

قال الدرويش: (٩) (وَعَلَّمَ آدَمَ) [البقرة: ٣١]

- اعلم أنه لما عَلَّم الله آدم[١]، عَلَّمه الأسماء والكلمات والحروف.
- فسافرت كلمة من تلك الكلمات يومًا، في أرجاء الكون الواسع.
- كانت كلمة التوحيد: **"لا إله إلا الله".**
- قالت لها الحروف: إلى أين؟
- قالت: إلى القدوس الذي أذابني فيه شوقًا.
- قال حرف الألف[٢]: يا كلمة التوحيد، يا لسان المعارف، هلا تكلمنا.
- قالت: المسلمون عند شروطهم.
- قال حرف الألف: وما الشرط يا لسان المعارف؟

يرجع بك عن هذا الدور، فلا تُرِق كأس الإيمان الذي في صدرك، فتصير الفرعون الكامل.

١) قال الحق: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

٢) حرف الألف له أهمية خاصة في التراث الإسلامي، فهو أول الحروف، وهو أول حرف في اسم الإله الأعظم "الله"، أول الأسماء الإلهية. يقول جلال الدين: أحيانًا يجعلك مستقيمًا مثل "الألف"، وأحيانًا مُعوجًا مثل الحروف الأخرى.

- قالت: أن تتحدث بما تعرف.
- قال حرف الألف: اعلمي أن الله لما كتب كلمة التوحيد في كتابه العزيز، أضافك أول ما أضافك إلى اسمه الأول: (الله)، فقال: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ) [محمد: ١٩]**، وأتبعها بآياتٍ أخرى.
- ثم أنعم عليك باسمه: (هُوَ)، فقال: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ) [البقرة:١٦٣]**، وقال: **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة:٢٥٥]**، وغير هذا كثير.
- ثم أضافك إلى (الواحد)، فقال: **(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ)[المائدة: ٧٣]**، وقال: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُو) [البقرة:١٦٣].**
- وألحقك بذاته، فقال: **(لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ) [النحل:٢]**، وقال: **(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي) [طه:١٤].**
- ثم أضافك إلى جميع الأسماء، فقال: **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [طه: ٨].**
- قالت لسان المعارف: زدني.

– قال حرف الألف: قال أذن الخير أحمد ﷺ: إنك أفضل شُعب الإيمان[١]، وكلمة الدخول في الإسلام[٢]، وأنت الشهادة من الصلاة[٣]، وأنت عدل عشر رقاب[٤]، وخير كلمة قيلت[٥]، وأنت كلمة الحجاب عن النار[٦]، وسبب دخول الجنة، وسبب

---

١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ".

٢) قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَا آيَةُ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ: "تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ"؛ الطحاوي: شرح معاني الآثار، ج٣ ص٢١٦.

٣) عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ إِذَا تَشَهَّدَتْ: "التَّحِيِّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ الزَّاكِيَاتُ لله. أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ"؛ موطأ مالك.

٤) قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ؛ موطأ مالك.

٥) قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله".

٦) قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني رسول الله، لا يلقى الله عبد مؤمن بها إلا حجبت عنه النار يوم القيامة"؛ مسند أحمد (٢٤/ ١٨٥)

الفلاح، وقال النبي ﷺ: **"من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله، دخل الجنة[1]"**، وغير ذلك كثير.

- قالت لسان المعارف: وأنا أتكلم فأقول: لما خلقني الله كرمني، أشد الإكرام، وجعل من يتمسك بحروفي الاثني عشر، وكلماتي الأربعة، لا يكون بينه وبين الجنة حجاب، ولا حساب.
- أنا وسيلة القُرب.
- أنا أبجد العشق وأبجدية المعرفة.
- أنا إمام الأسماء.
- أنا باب التوبة.
- أنا بيت الحكمة.
- أنا في سجود القلب أظهر.
- في تكراري أُنس الطاعة.
- أنا ماء الدنيا والآخرة.
- أنا الحلال من الدين.
- أنا غريقة الحق حبًا في ذاته.
- أنا زُبالة القلب المُضيء.

---

١) مسند احمد، (١/ ٥٠٩).

– أنا العين التي تُحيي القلوب فتخرج بها عن ظلمات البعد، إلى نور القرب.

– من قَالَنِي بحركة اللسان أُجِر.

– ومن نطقني بِدَم القلب رُفِع.

– ومن ذكرني بزِنَاد الروح احترق.

– في حب المَلِك، والمالِك، والمليك.

– أنا الحكمة المتمكنة من القلب، المسيطرة على الروح، التي تُسَيِّر الجسد.

أنهى الدرويش قصائدَ نجواه إلى المحبوب، ثم قال لمالك الحزين: اخرج بهذي القصائد إلى عالم الوجود وقل لهم إنه كان هناك يومًا، درويشٌ عشق الحق حتى فني منه النفس والجسد، ولم يبق إلا تلك الروح المُحبة الذائبة.

أسند الدرويش رأسه إلى عصاه، ولم يَعُدْ، لقد فَنِيَ في الحق فذهب إليه، وكُتِبَ على قبره: **"عاشقٌ ذاب في عشق الحق"**.

ظل مالك الحزين يصدح بتلك النجوى في ذلك الكون الواسع، والتي هي ضوءٌ يهمس في أذن ساكني تلك الدنيا، فوصلت إلى كل إنسان، وغير إنسان، فيا أيتها الطيور، ما خلق الله الكون إلا ليصبح المعشوق

الأول، فذوبوا في عشقه تعيشوا إلى الأبد، هذي قصة الدرويش العاشق رضي الله عنه.

وبعد:

"فامح الأوراق إن كنت رفيقًا لنا في الدرس، فإن علم العشق لا يوجد في كتاب"[1].

وعندما وصل القلم إلى هنا، تاه العقل، وانكسر القلم فلنختمه على هذا، وندعو أن يتقبله الله ﷻ، وحضرة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، وشيخي الإمام الحسين بن علي حفيد النبي رضي الله عنه.

[1] هذا البيت من أقوال حافظ الشيرازي في ديوانه: تحقيق: مسعود فرزاد، غزلية (٢٢٨)، بيت (٥)، ص١٨٢.

السيرة الذاتية

د. حمدي أحمد الجمال

- كلية التربية بدمياط (قسم تاريخ ١٩٩١م).
- كلية الآداب جامعة المنيا (قسم تاريخ ١٩٩٣م).
- معهد الدراسات الإسلامية (سنة ٢٠٠٧م).
- ماجستير التاريخ الإسلامي في موضوع بعنوان: **(تاريخ قبيلة الخزرج في الجاهلية وحتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين)**، بدرجة ممتاز. (الكتاب منشور).
- دكتوراه التاريخ الإسلامي في موضوع بعنوان: **(التعصب المذهبي عند أتباع المذاهب الرئيسة في الفقه والتوحيد، دراسة تاريخية نقدية)**، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، (تحت الطبع).

الإصدارات

- **قال الهُدهُد** "كتابٌ في كيفية القرب من النبي الأعظم ﷺ - دار الوابل الصيب، خلف الجامع الأزهر.
- درفيش "سيرة ذاتية" – سلسلة كتاب طيوف.
- تاريخ قبيلة الخزرج.

كتاب طيوف